الانتقاد

(علی)

كتاب التمدن الاسلامی للفاضل جرجی زیدان

للشیخ الاستاذ شبلی النعمانی الهندی

(اعتنی بطبعه)

القاری محمد عبد الولی بن العلامة الآسی المرحوم

(طبع)

فی مطبعة آسی پریس الكائنة فی محمود نگر لكنو

سنه ۱۹۱۲ء

جدول اصلاح ما وقع فی طبع هذا الکتاب من الخطأ والتصحیف

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
١	٧	رسايه	رسايسه	٧	١٣	هذه الصنيعة	هذا الصنيع
٢	١	من	.	//	٤	لترويح	لترويج
//	١٣	الخزانة	خزانة	//	٥	تصيب	يصيب
٣	١٤	حَمَّلْتُ	حملت	//	٩	تغير	تغيير
//	١٥	ليس	ليست	٩	٢	بزورهم	بذورهم
//	١٧	اتبز	ابتزّ	//	٩	مهدى	المهدى
٤	١	العرب	عرب				
//	١٣	يحرّمون	يحرمون	//	١٣	عرب	عربي
٥	١٥	امثلةٌ	امثلةً	//	١٤	عراب	عرابي
٦	٢	به	بهم	١٠	٥	كوفة	الكوفة
//	٤	ابن وقاص	ابن ابي وقاص	//	٨	كوفة	الكوفة
//	٦	حيرة	الحيرة	//	//	قضايه	قضائه
//	١٤	وترميه	وترميهم	//	//	استنكفوا	لا استنكفوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
١٠	١٢	الايبايع	الانبايع	١٥	٩	الهجية	الهبجية
١٢	٢	ولدا	ولدًا	١٦	١٦	يلايم	تلايم
//	٨	مرزولين	مرذولين	//	//	الطبعى	الطبيعى
//	١٠	المَل	المـل	١٨	١٠	بادئ الظلم	بادئ بالظلم
//	١٢	يمت	اليمن	//	١٦	لرمتها	لرمّتها
١٢	٦	الموالى	من الموالى	١٩	٤	اعتذارا	بالاعتدار
//	١٠	المسايل	المسائل	//	٨	مسايل	مسائل
//	١٤	تعذر	تعذرت	١٩	١١	رمته	رمّته
//	١٦	حسن	المحسن	//	١٦	ولدٌ للمروان	ولدٍ لمروان
١٣	١	يكون	تكون	٢٠	١٥	بها	له
//	٤	المسايل	المسائل	//	١٦	الموثوقة	الموثوق
//	١٢	يمن	اليمن	//	١٧	يكن	تكن
١٤	١	حجاج	الحجاج	٢١	٣	المراد	مراد
//	سه	عقدالفريد	العقدالفريد	//	٦	نال	نالت
١٥	٥	مرزولين	مرذولين	٢٢	١	المختلفة	المختلفة

صفحہ	سطر	خطأ	صواب
″	١٣	لعلج	العلج
″	١٦	الوليدُ	الوليدَ
٢٣	١٥	دماءًا	دماءً
٢٤	٦	ساير	سائر
″	٧	يسر	بسر
″	٦	الموثوقة	الموثوق
٢٦	٢	يستشن	يستّن
″	٤	باس	بأس
″	٥	كان	كانت
″	″	رافعا	رافعة
″	″	هادما	هادمة
″	١٧	صنيعة	صنيع
٢٧	١	القايم	القائم
″	٨	قايمة	قائمة
″	١١	ثم قال"	قال" ثم
″	١٥	اليه	اليها
″	٢٨	طايفة	طائفة
″	١٠	ابالجلوس	بالجلوس
″	١٤	يجترئ	تجترئ
٣٠	٢	اجترءت	جترأت
″	٦	امية	مية
″	١٠	نتايج	نتائج
″	″	ساير	سائر
٣١	١١	الكلام	للكلام
″	١٢	احدًا	واحدًا
٣٢	٢	القريش	لقريش
٣٣	١	ليتس	ليس
″	٢	زياد	زيادًا
″	٧	ليتس	ليس
″	١١	وسبيلة	وسيلة

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
//	١٣	الجزيّة	الجزية	٣٨	١	الان	الاف
//	١٥	السلامهم	اسلامهم	//	٥	الوهبة	الرهبنة
//	١٦	الجزيّة	الجزية	//	٧	ولكن	لكن
//	//	يكن	تكن	//	٩	اليه هذا البحث	خاتمة هذا البحث
//	//	شئ	شيئا				
٣٥	١	عمالٍ	عمالًا	//	١٨	اهتدنا	اهتدينا
//	٣	لحرب	الحرب	٣٨	١٩	خياناتها	خياناته
//	٨	ني	في	//	٢٠	التغثير	التغيير
//	١٦	البّ	تألّب	٣٩	٥	اناشدك بالله	اناشدك الله
//	١٧	فتلوه	قتلوه				
٣٦	٢	اشرس	الاشرس	//	٧	شاو	شأو
//	//	اشرس	الاشرس	//	١٥	العرب	عرب
//	١٥	الجزير	الجزية	//	//	العرب	عراب
٣٧	٢	المؤلف	للمولف	٤٠	٦	صح نوع	بنوع
//	١٣	لاجتراء	الاجتراء	//	٨	المعاوبة	معاوية

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٠	١٣	انظروه	انظروا	٤٧		نموذا	نفوذا
″	١٦	حوایج	حوائج	″	١	المودبین	المؤدبین
٤١	١٠	لملك	الملك	″	١٣	التصحیب فی	التصحیف فی
″	١٥	حنفیة	الخفیئة	٤٩	٣	رجأ	رجاء
″	١٦	کفاءة	کفایة	″	٥	استودعت	استیداعها
٤٢	١	هذه	هذا	″	١٥	یومین	یومئذ
″	٥	خلفایهم	خلفائهم	٥٠	٣	مدونوا	مدونو
″	٦	سوال	سوآل	″	٤	فقد	٠
٤٣	١	المودبین	المؤدبین	″	١٢	یزیدعبد	یزید بن عبد
″	٥	ضرب	ضربت	٥١	٨	سالة	سأله
٤٤	٥	هنا	هنالك	″	١٠	الماضیین	الماضین
″	١٥	الذین	فان الذین	٥٢	١٣	الغلمین	العلمین
″	٩	بیعة	سعة	٥٣	٧	اذا	واذا
٤٥	٨	صهاریح	صهاریج	٥٤	١٣	موسس	مؤسس
″	٥	العف	آلاف	″	١٤	تضئیقا	تضییقا

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٥٥	١	انتهـا	انتهـه	〃	١٣	اضطهدوا على	اضطهدوا
〃	٤	ذهب	ذهبت	〃	١٤	يوبه	يؤبه
〃	٧	القران	القرآن	〃	١٦	امرة	امرءة
〃	١٥	النصبغ	التصبغ	٥٩	١	باحراج	باخراج
٥٦	١	يومونهم	بأمونهم	〃	٨	بهدم	هدم
〃	٤	من	عن	〃	١٣	المخزانة	خزانة
٥٧	٦	ساموها	ساموهم	٦٠	٢	نصريح	تصريح
〃	٨	مواضع	موضع	〃	١٢	موثوقين	موثوق
〃	١١	انفهم	انوفهم	〃	١١	مّا	ما
〃	١٤	تشمأزعنها	تشمأزمنها	٦١	١	محوبها	محوها
٥٨	٢	سجنوهم	سجنوا		٦	ايضاجا	ايضاحًا
〃	〃	عذبوهم	عذبوا	〃	٢	هذا	ذلك
〃	٤	تفتخربها	يفتخربها	〃	١١	قرءة	قراءة
〃	٧	خاب	خابت	〃	١٠	الايخيل	الانجيل
〃	〃	يكادلا	لايكاد	٦٢	٢	التشوقوا	تشوقوا

صفحه	سطر	خطا	صواب	صفحه	سطر	خطا	صواب
٦٢	١٧	بالاخبار	بالاخبار	〃	١٠	لسان الاردو	اللسان الاردوى
٦٣	٥	ن المسئلة	كانت المسئلة	〃	〃	احد من اهل	احد اهل
٦٤	١٠	بن اسلام	بن سلام	〃	١١	شطرُ	شطرٌ
٦٥	١	عمووالورى	عمرو السوارى	〃	١٥	لموثوقة	الموثوق
〃	٩	يكن	تكن	٧٢	١	كان ضاعت	ضاعت
	١١	يتصل	تتصل	〃	٧	عليهم	علمهم
	١٣	يكون	تكون	〃	١٣	المصر	مصر
٦٦	٣	اخبار	الاخبار	٧٣	٥	تقئيد	تقييد
٦٧	١٣	صار	صارت	٧٤	١٤	فراينا	فرأينا
٦٩	٩	امبراطورة	امبراطرة	٧٤	١٧	لتصدى اهل الشام	التصدى لاهل الشام
〃	١٧	لو	ان	٧٥	٣	التضئيق	التضييق
٧٠	٩	وشام	والشام	〃	٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١١	حيا	حا	〃	١٦	يجزونهم	يخبرونهم
〃	١٣	ما	صا	٧٦	٩	فرجاة البيضا	بضاعة مزجاة
٧١	١	الخزانة	خزانة	〃	١٠	اسماعًا	اسماعٌ

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٧٦	١٧	المالك	مالكًا
"	"	محمد	احمد
٧٧	٩	سبحنه	سبجنه
٧٨	١٣	نسخته	نسخة
٧٨	٨	الحماد	لحماد
٧٨	٨	الابراهيم	لابراهيم
٧٩	١٢	وجها	وجهها
"	١٤	بخلع	بخلع
٨٠	١٢	من احد	احد
"	١٦	فاخذ	اخذ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوٰة والسلام على رسوله محمد وآله وصحبه اجمعين

ان الدهر دار العجائب، ومن احدى عجائبه ان رجلا من رجال العصر يؤلف فى تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه من تحريف الكلم وتمويه الباطل وقلب الحكاية والخيانة فى النقل وتعمد الكذب، ما يفوق الحد ويتجاوز النهاية، وينتشر هذا الكتاب فى مصر وهى غرة البلاد وقبة الاسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشارا فى العرب والعجم ومع هذا كله لا يتفطن احد لدسائسه، ان هذا الشئ عجاب.

لم يكن المرء ليجترى على مثل هذه الفظيعة فى مبتدأ الامر ولكن تدرج الى ذلك شيأ فشيأ فانه اصدر الجزء الثانى من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على احساس الامة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك احد ولم ينبض لاحد عرق ووجد الجو صافيا ارخى العنان وتمادى فى الغى واسرف فى النكاية بالعرب عموما وخلفاء بنى امية خصوصا۔

وكان يمنعنى عن النهوض الى كشف دسائسه اشتغالى بامر ندوة العلماء

ولکن لما عمّ البلاءُ وتوسّع الخرقُ وتفاقم الشر لم اُطق الصبر فاختلست من من اوقاتی ایاماً وتصدیت للکشف عن عوار هذا التألیف والا بانة عما فیه من انواع الافك والزور واصناف التحریف والتدلیس،

معذرة الی المؤلف

انی ایها الفاضل المولف غیر جاحد لمنتك فانك قد نوهت باسمی فی تالیفك هذا وجعلتنی موضع الثقة منك واستشهدت باقوالی و نصوصی ووصفتنی بکونی من اشهر علماء الهند مع انی اقلهم بضاعة واقصرهم باعاً واخملهم ذکرا ولکن مع کل ذلك هل کنت ارضی بان تمدحنی وتهجو العرب فتجعلهم غرضا لسهامك ودریة لرمحك ترمیهم بکل معیبة وشین وتعزو الیهم کل دنیة وشرحتی تقطعهم اربا اربا وتمزقهم کل ممزق وهل کنت ارضی بان تجعل بنی امیة لکونهم عربا بحتا من اشر خلق الله واسوءهم یفتکون بالناس ویسومونهم سوء العذاب ویهلکون الحرث والنسل ویقتلون الذریة وینهبون الاموال و ینتهکون الحرمات ویهدمون الکعبة ویستخفون بالقرآن،

وهل کنت ارضی بان تنسب حریق الخزانة الاسکندریة الی عمر ابن الخطاب الذی قامت بعدله الارض والسماء وهل کنت ارضی بان تمدح بنی العباس فتعد من احدی مفاخرهم انهم نزلوا العرب منزلة الکلب حتی ضرب بذلك المثل وان المنصور بنی القبة الخضراء ارغاماً للکعبة وقطع المیرة عن الحرمان استهانة بهما وان المامون کان ینکر نزول القرآن وان المعتصم بالله انشأ کعبة

فی سامرا وجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفات۔

وھب انی عدمت الغیرۃ علی الملۃ والدین وافتخرت کصنیع بعض الاجانب بانی فلسفی بحت عادم لکل عاطفۃ ووجدان فلا ارضی ولا اغضب ولا اسر ولا اغتاظ ولا افرح ولا اتالم وھب انی حملت نفسی علی احتمال الضیم وقبول المکروہ والصمم عن البذاء ومجازاۃ السیئۃ بالحسنۃ ومکافاۃ الخبیث بالطیب فھل کنت ارضی بان تشوہ وجہ التاریخ وتدمغ الحق وتروج الکذب وتفسد الروایۃ وتقلب الحقیقۃ وتنفق التھم وتعود الناس بالخرافۃ۔ بئس ما زعمت ایھا الفاضل فان فی الناس بقایا وان الحق لا یعدم انصارا

إن الغایۃ التی توخاھا المؤلف لیست الا تحقیر الامۃ العربیۃ وابداء مساویھا ولکن لما کان یخاف ثورۃ الفتنۃ، غیر مجری القول ولبس الباطل بالحق بان ذلک انہ جعل لعصر الاسلام ثلثۃ ادوار، دور الخلفاء الراشدین ودور بنی امیۃ ودور بنی العباس، فمدح الدور الاول وکذلک الثالث (ظاھرا لا باطنا کما سیجیٔ) ولما غر الناس بمدحہ للخلفاء الراشدین وھم سادتنا وقد وتنا فی الدین وبمدحہ لبنی العباس وھم ابناء عم النبی وبھم فخارنا فی بث التمدن وابھۃ الملک، ورأی ان بنی امیۃ لیس لھم وجھۃ دینیۃ فلا ناصر لھم ولا مدافع عنھم تفرغ لھم وحمل علیھم حملۃ شنعاء فما ترک سیئۃ الا وعزاھا الیھم وما خلی حسنۃ الا واتبزھا منھم، ثم لو کان ھذا لاجل انھم من آل مروان او لکونھم من سلالۃ

اُمَیَّۃ لَکُنّا فی غِنیً عن الذبِّ عنہم والحمایۃ لھم ولکن کُلّ ذنبھم انھم العرب علی صرافتھم ما شابَتْھُم العجمیّۃ مُطلقًا کما قال

” ویمتاز (ای دولۃ بنی امیۃ) عن الدولۃ العباسیۃ بانھا عربیۃ بحتۃ ،، (الجزء الثانی من تمدن الاسلام)

”وجملۃ القول ان الدولۃ الاموۃ دولۃ عربیۃ اساسھا طلب السلطۃ والتغلب ،، (الجزء الرابع صفحۃ ۱۰۳)

عصبیۃ العرب علی العجم

اطال المولف واطنب فی اثبات ھذہ الدعوی فذکر طرفا منہ فی الجزء الثانی مدسوسا (انظر صفحۃ ۱۸) ثم جعل لہ عنوانا خاصًا فی الجزء الرابع (۵۸)

وھذہ نصوصہ ،

” فان العرب کانوا یعاملونھم مُعاملۃ العبید “

” واذا صلوا خلفھم فی المسجد حسبوا ذلک تواضُعًا للّٰہ ،

” وکانوا یُحرّمون الموالی من الکُنی ولا یدعونھم الا بالاسماء والالقاب ولا یمشون فی الصف معھم “

” وکانوا یقولون لا یقطع الصلوٰۃ الا ثلثۃ حمار او کلبٌ او مولیً “

فکان العربی یَعُدُّ نفسہ سیدًا علی غیر العربی ویری انہ خُلق للسیادۃ وذاک للخدمۃ “ ،

"فتوهم العرب فی انفسهم الفضل علی سائر الامم حتی فی ابدانهم وامزجتهم فکانوا یعتقدون انه لاحمل فی سن الستین الا قرشیة، وان الفالج لا یصیب ابدا نهم" ومنعوا غیر العرب من المناصب الدینیة المهمة کالقضاء فقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی وحرّموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان ابوه قرشیا، ولا یزوّجون الاعجمی عربیة ولو کان امیرا وکانت هی من احقر القبایل"۔

"وکان الامویون فی ایام معاویة یعدّون الموالی اتباعا وارقّاء وتکاثروا فادرك معاویة الخطر من تکاثرهم علی دولة العرب فهمّ ان یأمر بقتلهم کلّهم او بعضهم"۔

اعلم ان للمؤلف فی نفاق باطله اطوارا شتّی،

فمنها تعمله للکذب کما ستری"

ومنها تعمیمه لواقعة جزئیة،

ومنها الخیانة فی النقل وتحریف الکلم عن مواضعها،

ومنها الاستشهاد بمصادر غیر موثقة مثل کتب المحاضرات والفکاهات وهاك امثلة من کل نوع منها قال،" اذا صلوا خلفهم فی المسجد حسبوا ذلك تواضعا لله وکانوا یحرمون الموالی من الکنی الخ" وکانوا یقولون لا یقطع الصلوٰة الا ثلثة" الخ۔

غیر خافٍ علی من له الماء مر بتاریخ الفرس والعرب ان الفرس کانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدری به ولما ارسل رسول الله صلی الله علیه وسلم کتابه الی کسری العجم اشماز وقال عبدی یکتب الیّ وکتب یزدجرد الی سعد ابن وقاص فاتح القادسیة ان العرب مع شرب البان الابل واکل الضب بلغ بهم الحال الی ان تمنوا دولة العجم فافٍ لك ایها الدهر الدایر، و کانت ملوك حیرة تحت امرة ملوك العجم۔

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام انتصفت العرب من العجم و استنکفوا من سیادتهم علیهم

وجاءت الشریعة الاسلامیة ماحیة لکل فخر ونخوة فقال رسول الله فی خطبته الاخیرة فی حجة الوداع، ان لا فضل للعربی علی العجمی ولا للعجمی علی العربی کلکم ابناء ادم،،

وحینئذٍ ارتفع التمایز وتساوی الناس ولکن مع ذلك بقیت فی بعض الناس من کلا الطرفین حزازات کامنة فی صدورهم کانت سببا لحدوث حزبین متقابلین یسمی احدهما الشعوبیة وهی التی تحتقر العرب وترمیه بکل معیبة حتی ان ابا عبیدة صنف کتبا عدیدة یطعن فیها علی انساب کل قبیلة من قبایل العرب، والثانی المتعصبون للعرب وقد عقد العلامة ابن عبد ربه فی کتابه العقد الفرید بابا فی حجج کلا الطرفین

واقوالهما ومعظم ما نقله المؤلف فى اثبات عصبية العرب هى اقوال ذكرها
صاحب العقد فى هذا الباب كما لوّح به المؤلف فى هامش الكتاب. واذا
تصفحت الكتب يظهر لك ان الاقوال التى نسبها الى العرب عموماً انما هى اقوال
شرذمةٍ خاصةٍ موسومة باصحاب العصبية وصاحب العقد حيثما ذكر
هذه الاقوال صدّرها بقوله "قال اصحاب العصبية من العرب"
وانت تعلم ان هذه العصبة ليست كافّة العرب ولا اكثرها بل لا عشر
معشارها فانك سترى انّ هؤلاء اُناس شرذمة مغمورون فى الناس،
ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلك بل رُبّما نسب قول رجل مُعيّن معلوم الاسم
الى العرب عامة،

فقال ناقلا عن كتاب العقد "وكانوا يكرهون اَنْ يصلوا خلف الموالى
وَاذا صَلّوا خلفهم قالوا اِنّا نفعلُ ذٰلِك تواضعاً لِلّٰه" فان صاحب العقد
نسب هذا القول الى نافع بن جبير فاخذه المؤلف وجعله قولاً عاما للعرب
وهذه الصيغة اعنى تعميم الواقعة الجزئية هى اكبر الحيل التى يرتكبها
المؤلف لترويج باطله بل هى قطب رحىٰ تاليفه،

قال المؤلف "فادرك معاوية الخطر من تكاثرهم على دولة العرب
فهمّ اَن يامر بقتلهم كلهم او بعضهم" (الجزء الرابع صفحه ۵۹) ان نص
معاوية الذى نقله المؤلف بعد هذه العبارة هو هذا، "كانى انظر الى

وثبة منهم على العرب والسلطان فرایتُ اَنْ اَقتل شطرًا واَدَعَ شطرًا" فانت
ترى ان الرواية على تقدير صحتها ليس فيها الا ان معاوية راى ان يقتل
شطرًا منهم ولكن المولف زاد على العبارة وقال ان معاوية هَمَّ ان
يا مر بقتلهم كُلِّهم.

قال المؤلف فكانوا يعتقدون ان الفالج لا تصيب ابدًا نهم" (الجزء
الرابع صفحه ٦٠)

استشهد فى هذه الدعوى بطبقات الاطباء كما لوّح فى هامش الكتاب
وايم الله لو كُنتَ تَقِفُ على عبارة الطبقات لَوَقعتَ فى شدِ حيرةٍ من اجتراء
المؤلف على قلب الحكاية وتغير الرواية، ذكر صاحب الطبقات تحت ترجمة
عيسى الطبيب (الراجح انه نصرانى) انّ المهدى ضربه فالج فحضر المتطببون
ومنهم عيسى صاحب الترجمة فقال المهدى بن المنصور بن محمد بن على
بن عبد الله بن عباس يضربه فالج لا والله لا يضرب احدًا من هؤلاء
ولا نسلهم فالج ابدًا الا ان يبذر ابذورهم فى الروميات والصقلبيات
وما اشبههن"

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحكاية المذكورة عن يوسف
الطبيب ان ابراهيم بن المهدى لما اعتل بعلة شبيهة بالفالج ودعا
يوسف وقال له ما العلة عندك فى عرض هذه العلة بى علمت انه كان حفظ

عن امه قول عيسى ابى قريش فى المهدى وولده انه لا يعرض لعقب الفالج الآن ينذروا بزورهم فى الروميات وانه قد أمّل ان يكون الذى به فالجاً لا عارض الموت فقلتُ لا اعرف لانكارك هذه العلة مَعنًى اذا كانت أُمُّك التى قامت عنك دنباوندية ودنباوند اشدُّ برداً مِن كل اَرضِ الرُّوم فكانه تفرّج الى قولى وصدّقنى واظهر السرور،،

فانت ترى ان الظن ببراءتهم عن الفالج انما كان مبناه حرّ ارض العرب وليس له ادنى مساس بشرف النسل ولو كان كما يتبادر الى الذهن من علاسماء اباء المهدى فهو يختص بعايلة النبى عليه السلام لا يفهم منه العموم مطلقا ولذلك لما ذكر لابراهيم (وهو ابن الخليفة مهدى) ان اُمّه من دنباوند وهو اشدُّ برداً من ارض الروم، ذهب عنه استغرابه عروض الفالج له،

فانظر كيف كان مجرى الحكاية فغيّرها المؤلف وارتكب لذلك خيانات تترىٰ

ثم ان هذا قول عيسى الطبيب ولا ندرى انه عرب ام لا وغالب الظن انه نصرانى وهب انه عرب فهو رجل من حاشية الدولة يريد التزلف الى الخليفة والتملق له فهل يكون قوله قول العرب كافّة

قال المؤلف "ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المُهمة كالقضاء فقالوا لا يصلحُ للقضاء الا عربيٌّ" (الجزء الرابع صفحة ٦) واَسنَدَ هذه الرواية الى ابن خلكان

حقیقة هذا القول ان الحجاج لما اسر سعید بن جبیر التابعی المشهور وکان من الموالی قال له ممتنا علیه اما جعلتك اماما للصلوة فی الکوفة ولم یکن فی الکوفة الا العرب قال ابن جبیر نعم ثم قال له الحجاج الیس انی لما اردت ان اولیك قضاء الکوفة ضجت العرب وقالوا لا یصلح للقضاء الا عربی وقد ذکر الروایة ابن خلکان بطولها ولا یخفی علیك ان کوفة لم یکن اذ ذاك فیها الا العرب وظاهر ان القضاء لا یصلح له الا من کان عارفا بعوائد الامة مطلعا علی خصائصهم وکیفیة تعاملهم فیما بینهم وسعید بن جبیر لم یکن من العرب ولو کان استنکاف اهل کوفة من قضائه لاجل کونه من الموالی لاستنکفوا من امامته للصلوة فان الامامة اعظم شرفا وارفع محلا من القضاء وهذا ابو حنیفة کان من الموالی وارادوا ان یولوه القضاء فی عصر بنی امیة فامتنع ولم یرض بذلك وقد ذکر الواقعة ابن خلکان مفصلا ۔

قال المؤلف "وحرموا منصب الخلافة علی ابن الامة ولو کان قرشیا" نعم ولکن لم یکن هذا للاستهانة به قال الاصمعی کانت بنو امیة لا یبایع لبنی امهات الاولاد فکان الناس یرون ان ذلك للاستهانة بهم ولم یکن لذلك ولکن لما کانوا یرون ان زوال ملکهم علی ید ابن ام ولد[1] "اما ما استدل به المؤلف من قول هشام بن عبد الملك لزید بن علی

---

[1] انظر الجزء الثانی من العقد الفرید طبع مصر صفحة ٣٣٠

انك ابن امة ولذلك لا تصلح للخلافة فقد ردّ عليه زيدٌ وقال ان اسماعيل
كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته ومن المعلوم ان زيدا وهو
ابن الامام زين العابدين ارفع شأنا واعظم محلا واطيب ارومة واصدق
قولا من هشام ثم لو كان هذا الامر حقا ما كانوا يولون الخلافة يزيد بن الوليد
الاموى ومروان الحمار وهما ابنا امة،

ولما فرغنا عن ابداء شطرٍ من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان
على دابه فى تاليفاته حان لنا ان نحقق اصل المسئلة اى ان العجم
والموالى هل كانوا اذِلّاء ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد
فى عصر بنى امية كما يدعيه المؤلف او كانوا بمحل من الشرف والعزة
يعترف لهم العرب بالفضل والسودد ويوفى لهم او فى قسطٍ والملحق
اعلم ان البلاد التى كانت عواصم الاقاليم وقواعدها فى عصر بنى امية
هى مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة
وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امامٌ يقودهم ويسود
عليهم وهذه اسماءهم،

مكة المشرفة،	عطاء بن ابى رباح هو استاذ الامام ابى حنيفة
يمن	طاؤس،
الشام	مكحول،

مصر،	يزيد بن ابی حبيب،
الجزيرة،	ميمون بن مهران،
خراسان،	ضحاك بن مزاحم،
البصرة	الامام الحسن البصری،
الكوفة،	ابراهيم النخعی،

وكل هؤلاء غير ابراهيم النخعی كانوا الموالی وبعضهم ابناء الاماء ومع كونهم اعجاماً وكونهم اولاد الاماء كانوا سادة الناس وقادتهم تذعن لهم العرب وتحترمهم خلفاء بنی امية وولاة الامر،

فاما عطاء بن ابی رباح فمع كونه ابن سندية كان شيخ الحرم واليه المرجع فی الفتوی وعليه المعوّل فی المسايل، قال ابن خلكان فی ترجمته قال ابراهيم بن عمرو بن كيسان اذكرهم فی زمان بنی امية يامرون فی الحج صايحا يصيح "لا يفتی الناس الا عطاء بن ابی رباح"، وهل يمكن ان ينادی بمثل ذلك من غير رضی الخلفاء واما طاؤس فلما قضی نحبه بمكة ازدحم الناس فی جنازته حتی تعذر الصلوة عليه وكان ابراهيم بن هشام اذ ذاك واليا علی مكة فاستعان بالشرطة ومشی فی جنازته عبد الله ابن الامام حسن عليه السلام واضعاً نعشه علی عاتقه وصلّی عليه الخليفة هشام بن عبد الملك الاموی ذكر كل هذا العلامة

ابن خلکان فی ترجمة طاؤس فهل یکون منزلة اعظم من ذلك،

واما مکحول الشامی فاحد الائمة المتبوعین وقال الزهری العلماء اربعة

فلان وفلان ومکحول واما یزید بن ابی حبیب فهو الذی ارسله عمر بن عبد العزیز

لیفقه الناس فی مصر ویفتیهم فی المسایل وهو المعلم الاول لهم کما صرح

بذلك السیوطی فی حسن المحاضرة واما میمون بن مهران فمع فضیلته

وسیادته کان امیرًا علی الخراج فی الجزیرة کما صرح به ابن قتیبة فی

المعارف اما حسن البصری فحدث عن البحر ولا حرج، یذعن له الملوك

والسادة والقواد وعلیه المعول والیه المنتهی،

ذکر السخاوی فی شرح الفیة الحدیث للعراقی (طبع لکهنؤ صفحه ۳۹۰ و ۳۹۹)

ان هشامًا قال للزهری من یسود اهل مکة قال عطاء قال بم سادهم قال

بالدیانة والروایة قال هشام نعم من کان ذا دیانة حقت الریاسة له

ثم سأل عن یمن قال طاؤس وکذلك سأل عن مصر والجزیرة وخراسان

والبصرة والکوفة فاخذ الزهری یعد اسماء سادات هذه البلاد وکلما

سمی رجلا کان هشام یسأل هل هو عربی ام مولی وکان یقول الزهری

مولی الی ان اتی علی النخعی وقال انه عربی فقال هشام الآن فرجت عنی

والله لیسودن الموالی العرب ویخطب لهم علی المنابر والعرب تحتهم"

ان التابعین لهم اعلی محل فی تاریخ الاسلام - ورأسهم

سعید بن جبیر و هو اسود وقد ولاه حجاج بن یوسف امامة الصلوٰة فی الکوفة کما ذکره ابن خلکان فی ترجمته والکوفة اذ ذاک جمجمة العرب وقبة الاسلام وهل یصح بعد ذالک دعوی المؤلف ان العرب کانت تستنکف عن الصلوة خلف الموالی،

وهذا سلیمان الاعمش استاد الثوری کان عبدا عجمیا وکان بمنزلة من العز والشرف انه لما کتب الیه الخلیفة هشام بن عبد الملک ان یکتب له مناقب عثمان ومساوی علی اخذ کتاب هشام والقمه عنزا کان عنده وقال للرسول قل لهشام هذا جواب کتابک (ابن خلکان ترجمة الاعمش)

وهذا حماد الراویة الذی دوّن المعلقات وله المکانة الکبری فی الادب والشعر کان عبدا اسود وکانت ملوک بنی امیة تقدمه وتوثره وتستزیره کما ذکره ابن خلکان،

وهذا سالم بن عبد الله بن عمر کان ابن امة ولما دخل الخلیفة هشام بن عبد الملک المدینة ارسل الیه یدعوه فاعتذر فدخل علیه هشام ووصله بعشرة الاف ثم لما حج ورجع کان سالم اذ ذاک مریضا فذهب لعیادته ولمّا توفی صلّی علیه وقال لا ادری بای الامرین انا اسرّ بحجتی ام بصلوتی علی سالم، سله

سله عقد الفرید ترجمة هشام بن عبد الملک

النص القاطع في هذا البحث

ذكر ابو العبّاس المبرّد في كامله ما هو قول فصل في هذا الباب لا يدع مجالا للريب، ولا متسعًا للشك، قال

" وانما ذكرنا هذا لتقدم قريش في اكرام مواليها، ولّى رسول الله صلى الله عليه وسلم جيش موتة زيدًا مولاه... وامّر رسول الله اسامة بن زيد فبلغه ان قوما قد طعنوا في امارته فقال لقد طعنتم في امارة ابيه وقد كان لها اهلا وان اسامة لها لاهل، قالت عائشة لو كان زيد حيًّا ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت اسامة علي وانا وهو سيّان فقال كان ابوه احب الى رسول الله من ابيك وكان احبّ الى رسول الله منك واوصى رسول الله بعض ازواجه لتميط عن اسامة اذى من مخاط اولعاب فكانها تكرهته فتولى منه ذلك رسول الله.... وكان ادّى الى بني قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولى رسول الله فقال علي بن ابي طالب رض سلمان منا اهل البيت، ويروى ان المهديّ نظر اليه ويده عمارة ابن حمزة في يده فقال له رجل من هذا يا امير المومنين فقال اخي وابن عمي عمارة بن حمزة فلمّا ولّى الرجل ذكر ذلك المهديّ كالممازح لعمارة فقال له عمارة انتظرت ان تقول "ومولاي" فانفض والله يدك من بين يدي فتبسم امير المؤمنين المهدي ولم يكن الاكرام للموالي في جفاة العرب، زعم الليثي انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدي مسمع مولى له، له بهاء ورواء ولسن فوجّه جعفر مولى له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان انصفني والله جعفر انصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عندت عنه وان وجّه الي مولى مثل هذا او ما الى مولى جعفر فقال مولى مثل هذا عاضًّا

لما يكره وتجهت اليه واومأ الى مولاه فعجب اهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذي

تبهأ بمثله العرب وقيل لرجل لابيه والمولى لمواليه وفي بعض الاحاديث ان المعتق من فضل

طينة المعتق ويروى ان سلمان اخذ من بين يدي رسول الله تمرة من تمر الصدقة

فوضعها في فيه فانتزعها رسول الله فقال يا ابا عبد الله انما يحل لك من هذه ما يحل لنا

ويروى ان رجلا من موالي بني مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال

نازع عمرو بن هلال المازني وهو في ذلك الوقت سيد بني تميم قاطبة فظهر عليه المولى

حتى اذن له في داره فادخل الفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه سافا كف عنه ثم

قال يا عمر قد اريتك القدرة وسأريك العفو وقد كان في قريش من فيه جفوة

ونبوة كان نافع بن جبير احد بني نوفل بن عبد مناف اذا مر عليه بالجنازة سال عنها

فان قيل قرشي قال واقوماه وان قيل عربي قال وابلدتاه وان قيل مولى وعجمي قال

اللهم هم عبادك فاخذ منهم من شئت وتدع ويروى ان ناسكا من بني الهجيم بن عمرو

بن تميم كان يقول في قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالي عامة فاما العجم فهم

عبيدك والامر اليك وقال الاصمعي قال سمعت اعرابيا يقول لاخر اترى هذه العجم

تنكح نساءنا قال ارى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل

ذلك" انتهى (صفحة ۱۰ و ۱۱ و ۱۲ طبع اوربا)

تدل هذه النصوص على امور:

۱- ان اكرام الموالي كان من ديدن العرب عامة وقريشها خاصة.

۲- لم يكن الاكرام للموالي واكثرهم العجم عند جفاة العرب ونباتها كما لم يكن الاكرام للعرب عند الشعوبية واكثرهم العجم

۳- كان نافع بن جبير وامثاله من جفاة العرب فلا يصح الاستدلال باقوالهم على

ولو اخذنا فی تعداد امثال هذه الوقایع لطال الکلام وملّ الناظرون
ویظهر مما مرّ علیک ان الموالی کانوا فی ایام بنی امیة باعلی محل من
الشرف والمکانة وکانت العرب تذعن لهم وتقدّمهم وتقتدی بهم
وترفع شأنهم، فهل یصح قول المؤلف بعد ذلک ان الموالی وابناء الاماء کانوا
فی عصر بنی امیة مرذولین ساقطین یُزدری بهم ولا یقام لهم وزنٌ وکان
العرب وبنو امیة یعاملونهم معاملة العبید،

مثالب بنی امیة — المقصد الذی جعله المؤلف نصب عینه ومرمی غایته هو
ان الامة العربیة اذا بقیت علی صرافتها فهی جامعة لجمیع اشتات الشر ای
الجور والقسوة والهمجیة وسفک الدماء والفتک بالناس ولکن لما کان
لا یقدر علی اظهار هذا المقصد تصریحا احتال فی ذلک فغمّض لمذهب جعل
الکلام طیّباً لظاهر وذلک بان قسّم عصر الاسلام الی ثلثة ادوار۔ فمدح
سیاسة الخلفاء الراشدین وقال بعد مدحها.

> علی ان سیاسة الراشدین علی الاجمال لیست مما یلائم طبیعة العمران او
> تقتضیه سیاسة الملک وانما هی خلافة دینیة توقفت الی رجال یندر
> اجتماعهم فی عصر۔ فاهل العلم بالعمران لا یرون هذه السیاسة
> تصلح لتدبیر الممالک فی غیر ذلک العصر العجیب وان انقلاب تلک الخلافة
> الدینیة الی الملک السیاسی لم یکن منه بد (الجزء الرابع، صفحه ۳۰ و ۲۹)

فاثبت بذلك ان سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوة للناس وانها من مستثنيات الطبيعة اما دور العباسيين فمدحه ولكن لا لاجل انه دولة عربية بل لكونها فارسية مادة وقواما موتلفا ونظاما وصرح بذلك فقال "

دعونا هذا العصر فارسيا مع انه داخل فى عصر الدولة العباسية لان تلك على كونها عربية من حيث خلفاءها ولغتها وديانتها فهى فارسية من حيث سياستها وادارتها لان الفرس نصروها وايدوها ثم هم نظموا حكومتها وادار وشيونها ومنهم وزرائها وأمراؤها وكتابها وحجابها،

(الجزء الرابع صفحه ١٠٦)

ثم اشار فى غير موضع ان الدولة العربية الساذجة انما هى دولة بنى امية فقال،

" وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية" (الجزء الرابع صفحه ١٠٣)

" وظل العرب فى ايام بنى امية على بداوتهم وجفاوتهم وكان خلفاءها يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البدو وادابهم (الجزء الرابع صفحه ٦١)

ولما اثبت ان خلافة الراشدين لم تكن يلايم النظام الطبعى وان دولة بنى العباس دولة فارسية وان الباقى على صرافتها هى الدولة الاموية

اخذ يعدد مثالب بنی امیة تحت عنوانات مستقلة منها الاستخفاف بالدين
واهله ومنها الاستهانة بالقرآن والحرمين ومنها الفتك والبطش ومنها
قتل الاطفال ومنها خزانة الرؤس وانى فى مطاوى هذه العنوانات من الافك
والاختلاق والتحريف والتبديل بما تجاوز الحد وخرج عن طور القياس
والآن اذكر نبذا منها واكشف عن جلية حالها،

الاستهانة بالقرآن والحرمين؛ قال المؤلف تحت هذا العنوان،

"اما عبد الملك فكان يرى الشدة ويجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف
ولو خالف الدين.. لانه صرح باستهانة الدين منذ ولى الخلافة
.. ذكروا انه لما جاءه خبر الخلافة كان قاعدا والمصحف فى حجره فاطبقه
وقال هذا آخر العهد بك او هذا فراق بينى وبينك فلا غرو بعد ذلك
اذا اباح لعامله الحجاج ان يضرب الكعبة بالمنجنيق وان يقتل ابن الزبير
ويحتز راسه بيده داخل مسجد الكعبة.. وظلوا يقتلون الناس فيها ثلاثا
وهدموا الكعبة وهى بيت الله عندهم واوقدوا النيران بين احجارها
واستارها (الجزء الرابع صفحة ٧٠ و٩٧)

الحكاية على الاجمال ان ابن الزبير ادعى الخلافة فملك الحرمين والعراق
وكاد يغلب على الشام وكان امره كل يوم فى ازدياد وبازائه بنو امية فى الشام
فلما تولى عبد الملك الخلافة ارسل الحجاج الى ابن الزبير فحاصره ولاذ ابن الزبير

بمکہ فنصب الحجاج المنجنیق علی الزیادۃ التی کان زادھا ابن الزبیر (کما یجی تفصیلہ)
یعرف کل من لہ ادنی المام بالتاریخ ان الحجاج ما اراد الا قتال ابن الزبیر
ولکونہ لائذًا بالکعبۃ اضطرّ الی نصب المنجنیق علی الکعبۃ ولکن مع ذلک تحرز
عن رمی الکعبۃ فحوّل وجھھا الی الزیادۃ ابن الزُبیر فانظر کیف غیّر المؤلف مجری
الحکایۃ فصدّر الباب بالاستھانۃ بالقرآن والحرمین ثم ذکر ان عبد الملک قال
للقرآن ھذا فراق بینی وبینک وانہ اباح للحجاج ضرب الکعبۃ بالمنجنیق وھدم
الکعبۃ وایقاد النیران بین استارھا فالناظر فی عبارتہ یتوھّم بل یستیقن انّ
عبد الملک تفرّغ من بدء الامر للاستھانۃ بالدین والقرآن والحرمین وجعل
الاستھانۃ نصب عینہ ومرمی غایتہ وقتل ابن الزبیر کان امّا لانہ دافع عن مکۃ او
لکونہ ایضاً من جنس الاستھانۃ بالحرم اما تفصیل الواقعۃ وتعیین بادی الظلم
فھو انّ ابن الزبیر لما استولی علی الحرمین اخرج بنی امیۃ من المدینۃ فخرج مروان
وابنہ عبد الملک وھو علیلٌ مجدّرٌ فاستولی علی الشام وصدّت من ابن الزبیر
افعالٌ نقموا علیہ لاجلھا فمنھا انہ تحامل علی بنی ھاشم واظھر لھم العداوۃ والبغضاء
حتی انہ ترک الصلوۃ علی النبی فی الخطبۃ ولما سألوہ عن ھذا قال ان للنبی اھل
سوء یرفعون رؤسھم اذا سمعوا بہ[۱] ومنھا انہ ھدم الکعبۃ ومع ان ھدمھا لم یکن
الا لرمّتھا واصلاحھا ولکن لم یکن ھذا مما لوفا الناس وکذلک تحوّز النبی علیہ السلام

[۱] الیعقوبی طبع یورپ صفحۃ ۳۱۱ من الجزء الثانی [۲] الجزء الثانی من الیعقوبی صفحہ ۳۱۱۔

عن ادخال الحطيم فی الکعبۃ فاتخذ الحجاج ھذہ الامور وسیلۃ لاغراء الناس علی ابن الزبیر ولعل ابن الزبیر کان مضطرا الی ھذہ الاعمال ولکن من شریطۃ العدل ان نوفی کل احد قسطہ من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبیر فعبد الملک احق منہ اعتذارا فان ابن الزبیر ھو البادیٔ والبادیٔ اظلم ویظھر من ھذا ان عبد الملک ما اراد الحط من شان الکعبۃ ومس شرفھا ولکن اضطر الی قتال ابن الزبیر فوقع ما وقع عرضا غیر مقصود بالذات ولذالک لما نصب الحجاج المناجیق علی الکعبۃ حولھا عن الکعبۃ وجعل الغرض الزیادۃ التی کان زادھا ابن الزبیر صرح بذلک العلامۃ البشاری فی احسن التقاسیم ثم ان من مسایل الفقہ ان البغاۃ اذا تحصنوا بالکعبۃ لا یمنع ھذا عن قتالھم ولذلک امر النبی فی وقعۃ الفتح بقتل احدھم وھو متعلق باستار الکعبۃ وابن الزبیر کان عند اھل الشام من البغاۃ والمارقین عن الدین

ولو کان اراد الحجاج الاستھانۃ بالحرم لما کان مرادہ من رمتہ واصلاحہ بعد قتل ابن الزبیر ومعلوم ان تعمیر الحجاج ھو الیوم کعبۃ الاسلام وقبلۃ المسلمین کافۃ

اما قول عبد الملک للقران ھذا فراق بینی وبینک، فحقیقتہ ان عبد الملک کان قبل الخلافۃ ناسکا منقطعا الی العبادۃ لا یشتغل بشیٔ من الدنیا قال نافع ما رایت فی المدینۃ اشد نسکا وعبادۃً من عبد الملک ولما سألوا ابن عمر الی من نرجع فی الفتوی بعدک قال ولد لمروان وکان یقول ابن الزناد الفقہاء فی المدینۃ سبع احدھم عبد الملک وقال الامام الشعبی ما جالست احدا الا وجدت

عليا افضل الا عبد الملك بن مروان، ذكر كل هذه الاقوال العلامة السيوطى فى تاريخه الخلفاء فلما جاءته الخلافة وهو يقرء القرآن تصور خطارة الامر وان مثل هذا العبأ لا يمكن تحمله الا المنقطع اليه فقال تحتر اهذا آخر العهد بك اى الآن لا يمكن الانقطاع الى العبادة وقراءة القرآن كما كان دابى ولا وليس هذا على سبيل الاستهانة بالدين مطلقا فانا نرى اشتغال عبد الملك بالفرائض والسنن فيما بعد فهو يصوم ويصلى ويحج قال اليعقوبي فى تاريخه واقام الحج للناس فى ولايته سنة ٧٢ه الحجاج بن يوسف وسنة ٧٣ وسنة ٧٤ الحجاج ايضا وسنة ٧٥ عبد الملك بن مروان وسنة ٧٦ ابان بن عثمان بن عفان، وسنة ٧٧ ابان ايضا وسنة ٧٨ وسنة ٧٩ وسنة ٨٠ ابان ايضا وسنة ٨١ سليمان بن عبد الملك (وسرد باقى السنوات فتركناها) وعبد الملك هو الذى كسا الكعبة الديباج فهل هذا صنيع من يريد الاستهانة بالحرم،

قال المولف،

"ويحتز راسه بيده داخل مسجد الكعبة" (الجزء الرابع صفحة ٩٧)

استند المؤلف فى هذه الرواية بالعقد الفريد لابن عبد ربه والاستناد بمثل هذه الكتب فى مثل هذه الوقايع هو من احدى حيل المولف المعتادة بها فانت تعلم ان حادثة قتل ابن الزبير مذكورة فى الطبرى وابن الاثير وغيرها من المصادر التاريخية المتداولة الموثوقة بها وعليها المعول واليها المرجع لكن لما لم يكن كيفية الحادثة فى هذه الكتب وفق هوى المؤلف اعرض عن هذه كلها

وتشبّث بكتابٍ هو فى علاد المحاضرات انما يرجع الى امثال اذالم يكن فى الباب مستند غيره ومتى مالم يُخالف الاصول، والمذكور فى الطبرى وغيره ان عبدالله بن الزبير اُصيب فى الحجون وقُتل هنالك قتله رجل من المراد وما احتُزّ راسه داخل الكعبة،

قال المؤلف "وهدموا الكعبة"

قد مرّ ان الكعبة لم تكن غرضاً للحجاج وانما كان نصباً للمناجيق على الزيادة التى زادها ابن الزبير ولمّا كانت مُتّصِلَةً بالكعبة نال الاحجار من الكعبة ولكن بعد ما استتبّ لقتال ، اوّلُ ما فعلهُ الحجاجُ كان امره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدمُ الكعبة شئٌ واحدٌ،

اما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه امر بالمصحف فعلقوه واخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزّقه وانشد،

اَتُوعِدُ كُلّ جبارٍ عنيد	فها انا ذاك جبّارٌ عنيدٌ
اذا لاقيتَ ربك يوم حشرٍ	فقل لِله مزّقنى الوليدُ

ونقل هذه الرواية عن الاغانى فهى من خرافات الاغانى ومعلومٌ انّ صاحب الاغانى شيعىٌّ، ديانته شنان بنى اُميّة والحط منهم اما الابيات فاثر التوليد ظاهرٌ عليها ومن له ادنى مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل، فامّا جهابذة المحدثين المرجوع اليهم فى نقل الروايات والّذين

قولهم فصل فی هذا الباب فيجد من امثال هذه الروايات المختلفة وقال العلامة **الذهبی** وهو راس الحديث ومرجع الرواية "لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك" (تاريخ الخلفاء للسيوطی ترجمة الوليد)

ثم ان هنالك امرا اخر وهو ان النّاقم على **الوليد** وقاتله هو خليفة اموی، فكيف ينسب استهانة الدين الى خلفاء بنی امية عامتهم ثم ان هذا الذی عزا اليه صاحب الاغانی الاستهانة بالقرآن قد ذكر له صاحب العقد ما ينبئ عن تعظيمه للقرآن وتفخيمه شانه وحث الناس على حفظه وتمهده قال صاحب العقد[1] انه شكا رجل من بنی مخزوم دينا لزمه فقال (الوليد) اقضيه عنك ان كنت لذلك مستحقا قال يا امير المومنين كيف لا اكون مستحقا فی منزلتی وقرابتی قال قرأت القرآن قال لا قال فادن منی فدنا منه فنزع العمامة عن راسه بقضيب فی يده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه ضم اليك هذا العلج ولا تفارقه حتى يقرء القرآن فقام اليه اخر فقال يا امير المومنين اقض دينی فقال له اتقرء القرآن قال نعم فاستقراه عشرا من الانفال و عشرا من براءة فقرء فقال نعم نقضی دينك وانت اهل لذلك" فانت ترى ان الوليد يعد من لا يقرء القرآن علجا والمولف يعد الوليد علجا،

فاما ما ذكره المولف من اقوال **الحجاج** و**خالد القسری** فی انهما كانا

[1] الجزء الثانی صفحة ٢٥٨

يفضلان الخلافة على النبوة فمع ان اكثر هذه الاقوال مأخوذ من العقد الفريد
وهو من كتب المحاضرات لسنا نحتاج الى الذب عن الحجاج وخالد فانهما من
اشرار الامة حقاً ولكن كم لنا من امثال هؤلاء الملاحدة فى الدولة العباسية
كالعجاردة وابن الراوندى الذى عمل كتابا ردّ فيه على القرآن وسماه بالدامغ فاذا
كان العباسية غير مسئولين عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فكذلك بنو امية
وان كان عبد الملك والوليد يرتضيان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غيرهما
من بنى امية كانوا ناقمين عليه كافة حتى ان هشاما قال "هل الحجاج استقر فى
جهنم او يهوى الى الان" ولما وصل هشام ان خالد القسرى استخف بامرءةٍ
مومنة عزله عن الامارة وسجنه كما ذكره ابن خلكان،

والحاصل ان المؤلف ان خص رجلا او رجلين من بنى امية بالطاعن لاعترفنا به
ولكن من سوء مكيدة المؤلف انه يجعل الفرد جماعة والفذّ نوعاً والنادر عاماً،
والشاذّ مطرداً۔

جور بنى امية سمعنا بمظالم بخت نصر واحطنا علماً بشنايع چنگيز خان واطّلعنا
على ما جنته ايدى **التتر** فوالله (لو صدق المولف) هؤلاء كانوا اشد قسوة
ولا افظع اعمالا ولا اسفك دماءً او لا اجمع لانواع الفتك من بنى امية،

قال المولف حتى فى ايام معاوية فانه ارسل بسر بن ارطاة × ×
وارسل معه جيشا ويقال انه (اى معاوية) اوصاهم ان يسيروا

في الارض ويقتلوا كل من وجدوه من شيعة عليٍّ ولا يكفوا ايديهم عن النساء

والصبيان (الجزء الرابع صفحة ٣٠٢)

قبل ان اكشف عن جلية الامر لابدّ من تقديم مقدمة، وهي ان المؤلف

مدح بني العباس في جعل عمالهم مناط العدل ودلالة على الرفق فقال،

ولا غرابة فيما تقدم من عمران البلاد في ظل الدولة العباسية فان العدالة

توطد دعائم الامن واذا امن الناس على ارواحهم وحقوقهم تفرغوا

للعمل فتعمر البلاد ويرفه اهلها ويكثر خراجها (الجزء الثاني صفحة ١٠٨)

وعلى هذا فاذا وجدنا بني اميّة مُعادلين لبني العباس في جميع اعمالهم سواءً

بسواءٍ كان اختصاصهم بالذم دون بني العباس جورًا فاحشا وميلا عظيما، ثم ان هناك

امر اخر وهو ان المورخين باسرهم كانوا في عصر بني العباس ومن المعلوم انّه لم يكن

يستطيع احد ان يذكر محاسن بني امية في دولة العباسيين فاذا اصدر من احدٍ

شيءٌ من ذلك فلتة كان يقاسي قائلها انواعا من الهتك والايذاء ووخامة العاقبة

وكم لنا من امثال هذه في اسفار التاريخ، ومع اننا نقر بان مورخي الاسلام كانوا

اصدق الناس رواية واجرءهم على اظهار الحق ما كان يمنعهم عن بيان الحقيقة

سلطة ملكٍ ولا مهابة جائرٍ ولكن مع ذلك فرق بين تعمد الكذب والسكوت عن الحق

ولذلك نعتقد انهم ما قالوا شيئًا افتراءً على بني امية ولكن ان قلنا انهم كثيرا ما

سكتوا عن محاسنهم فذلك شيءٌ لا يدفع وليس فيه غضٌّ منهم۔

امابنو العباس فكانوا فى عصرهم ولاة البلاد وملاك رقاب الناس رضاهم الحيوة وسخطهم الموت، فالوقيعة فيهم والاخذ عليهم ما كان يكن الا بعد مخاطرة النفس والاقتحام فى الهلاك ونصب النفس للموت،

رجعنا الى قول المولف ان معاوية امر بقتل النساء والصبيان، اعلم ان هذه الواقعة اى ارسال بسر ابن ارطاة الى شيعة عليؑ من اشهر الوقايع المذكورة فى سائر كتب التواريخ وليس فى احد منها قتل النساء والصبيان بل فيها ما يخالف هذه الرواية قال المورخ اليعقوبى "ووجه معاوية بسر بن ارطاة وقيل بن ارطاة العامرى من بنى عامر بن لوى فى ثلثة الاف رجل فقال له سر حتى تمر بالمدينة فاطرد اهلها واخف من مررت بها وانهب مال من اصبت له مالا ممن لم يكن دخل فى طاعتنا واوهم اهل المدينة انك تريد انفسهم وانه لا براءة لهم عندك ×× حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لاحد وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة ×× ثم امض حتى تاتى صنعاء فان لنا بها شيعة وقد جاءنى كتابهم فخرج بسر فجعل لا يمر بحى من احياء العرب الا فعل ما امره معاوية" (اليعقوبى طبع اوربا صفحة ٢٢١ من الجزء الثانى)

فترى فى هذه العبارة انه لم يكن هناك الا تخويف وتهديد وابهام لما راى المؤلفان فى المصادر التاريخية الموثوقة بها لا توجد فيها ما يوافق هواه جنح الى الاغا ونقل امر معاوية بقتل النساء والصبيان ثم اعتذر عن معاوية بان المظنون

خلاف ذلك لحلمه ودهائه والظن ان معاوية اطلق يد بسر ولم يعيّن له حدودًا وكان بسر سفاكًا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"

قد قلنا ان الاغانى من كتب المحاضرات فاذا كان الامر هيّنا وكان الحديث فكاهةً او تسليًا من كدّ العمل لى استراحةٍ فلا بأس به وبامثاله اما اذا كان الامر ذا بال وكان الواقعة مُعترك الاختلاف ومتعفر الاهواء رافعا الشأن اوهادمًا لاساسٍ فامثال هذه الكتب لا يوذن لها ولا يُلتفت اليها مطلقا،

ثم ان الرجل (اى صاحب الاغانى) شيعىٌ اذا جاءه شئٌ مما يشين معاوية ويدنّسه وجد من نفسه ارتياحًا الى قبوله ولو كان من اوهن الاحاديث واكذبها،

نعم ان بسر بن ارطاة قتل طفلين ولكن القتل لم يتجاوز الاثنين فاين هذا من قول المولف،

"وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"

قال المولف" فاذا كان هذا حال العمال فى ايام معاوية مع حلمه وطول اناته فكيف فى ايام عبد الملك مع شدته وفتكه فهل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرًا ولو كانوا ١٢

(الجزء الرابع صفحة ٨٣)

نعم قتل الحجاج مائة الف اومائتين ولكن اين هذا من صنيعة ابى مسلم

الخراسانی القایم بدعوۃ بنی العباس المؤسس لدولتهم فانه قتل صبرا بدون حرب ما یبلغ عدده ستمایة الف وقد اعترف به المولف فی هذا التالیف نفسه (الجزء الرابع صفحة ۱۱۲) والمولف یحتال لذلك عذرا ویحسبه من طبیعة السیاسة فالحجاج احق بالعذر واجدر بالعفو فان الحجاج عربی قح طبعه الجفاء والقسوة اما ابو مسلم فعجمی تربی فی حجر التمدن وغذی بلبان الظرف ودماثة الاخلاق،

اما قوله "عبد الملك كان اشد وطاةً منه" (ای من الحجاج) فلم یات علیه بشاهد غیر غدره بعمرو بن سعید واین هذا من غدر المنصور العباسی بابی مسلم الذی هو رب الدولة العباسیة ولولاه لما قامت للعباسیین قایمة ولا كان لهم ذكر وكذلك غدر المنصور بابن هبیرة،

وغایة ما یقضی منه العجب ان المولف بعد ما ذكر فتك بنی امیة بقوله "وقد نفعتهم هذه السیاسة (ای سیاسة الفتك) فی تائید سلطانهم ثم نال صارت سُنةً فی من ملك بعدهم من بنی العباس وغیرهم" وانت تعلم ان المولف یبرئ ساحة العباسیة من الجور والظلم فضلاً عن الفتك فهل هذا تناقض فی القول او اراد بهم نفعا فضرهم من حیث لا یعلم. لا والله لا هذا ولا ذاك بل هی من مكاید المولف التی لا یهتدی الیه الا فطن خبیر بطویة الرجل وكامن ضغنه،

جور العمال | ذكر المولف تحت هذا العنوان انواعًا من الجور والشدة الصادرة من عمال بنی امیة ونحن نذكر بعضا منها مع كشف الحقیقة،

قال يذكر جور العمال "واذا اتی احدهم بالدراهم ليوديها فی خراجه يقتطع الجابی منها طايفةً ويقول هذا رواجها وصرفها" (الجزء الثانی صفحة ٢٢ واستند فی الهامش بكتاب الخراج لابی يوسف صفحة ٦٢)

ايها الفاضل المولف! اليس لك وازع من نفسك، اليس لك رادع من ديانتك۔ اتجترئ علی مثل هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش جهرة فان القاضی ابا يوسف ما تكلم فی شان عمال بنی امية ببنت شفة وانما ذكر عن عمال هرون الرشيد واساءتهم العمل فی جباية الخراج وكتاب الخراج لابی يوسف بين ايدينا وقد طبع فی مصر وتداولته الايدی وتناقلته الالسن،

قال المولف،

"وفی كلام القاضی ابی يوسف فی عرض وصيته للرشيد بشان عمال الخراج ما يبين الطرق التی كان اوليك الصغار يجمعون الاموال بها قال "بلغنی انه قد يكون فی حاشية العامل والوالی جماعة منهم لربه حرمةٌ ومنهم من له اليه وسيلة ليسوا بابرارٍ ولا صالحين يستعين بهم ويوجههم فی عماله يقتضی بذلك الذمامات فليس يحفظون ما يوكلون بحفظه ولا ينفقون من يعاملونه انما مذهبهم اخذ شئ من الخراج كان او من اموال الرعية ويقيمون اهل الخراج فی الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيد ونهم بما يمنعهم من الصلوة وهذا عظيم

عند الله شنيع في الاسلام (الجزء الثاني صفحة ۲۳ و ۲۴ مستندًا الى كتاب الخراج صفحه ۶۱ و ۶۲)

الله اكبر! هل سمع احدٌ باعظم من هذا التدليس والتلبيس يشتكي القاضي ابو يوسف من عمّال هٰرون الرشيد ويرفع القضية اليه ويبين ما بلغه مما يرتكب عماله في اخذ الاموال من الرعايا، فياخذ المولف اقواله وينقلها من حيث انما هي الطرق التي كان عمّال بني امية يجمعون الاموال بها، ها هو كتاب الخراج بايدينا قرءناه وقلبناه ظهرًا عن بطنٍ وكررنا فيه النظر لا كرّة اوكرّتين بل مرات متوالية متتابعةٍ فما وجدنا فيه كلمة في شان عمّال بني امية وانما قال ما قال ابو يوسف يعظ الرشيد بما بلغه عن عماله الى ان خاطبه بقوله،

فلو تقرّبت الى الله عزوجل يا امير المومنين ابا لجلوس لمظالم رعيّتك في الشهر او الشهرين مجلسا واحدا تسمع فيه من المظلوم وتنكر على الظالم رجوتُ ان لا تكون ممن احتجب عن حوائج رعيته ولعلك لا تجلس الا مجلسا او مجلسين حتى يسير ذلك في الامصار والمدن فيخاف الظالم وقوفك على ظلمه فلا يجترئ على الظلم . . . مع انه متى علم العمال والولاة انك تجلس للنظر في امور الناس يوما في السنة ليس يوما في الشهر تناهوا باذن الله عن الظلم وانصفوا من انفسهم (كتاب الخراج صفحة ۶۳ و ۶۴)

لا فُضَّ فوك يا ابا يوسف! فقد صدعت بالحق وامرت بالمعروف واجترءت على النهي عن المنكر واخذت على ملكٍ جبارٍ كهرون الرشيد صاحب النكبة بالبرامكة وما اكبر جرأتك ايها الفاضل (جرجي زيدان) تتبعت سيرة عمال بني امية وبالغت في الامعان وكابدت في ذلك محنة التقصي فاعوزك كل هذا وما وجدت في اعمالهم شيئا من مثل تلك الفظايع فعمدت الى سيرة عمال الرشيد واوهمت الناظرين انها سيرة عمال بني امية"

قال المولف وكان العمال لا يرون حرجا في ابتزاز الاموال من اهل البلاد التي فتحوها عنوة لاعتقادهم انها فيءٌ لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحته ٥٠)

الذي اشار اليه بقوله "تقدم" هو قوله في الجزء الثاني وهذا نصه

"وكان من جملة نتايج تعصب بني امية للعرب واحتقارهم ساير الامم انهم اعتبروا اهل البلاد التي فتحوها وما يملكون رزقا حلالا لهم يدل على ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق ما السواد الا بستان قريش ما شئنا اخذناه منه وما شئنا تركناه وقول عمرو بن العاص لصاحب اخنا لما ساله عن مقدار ما عليهم من الجزية فقال عمرو انما انتم خزانة لنا ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثاني صفحة ١٩)

تشبث المؤلف بهذه الاقوال في غير موضع مستدلاً على ان العرب وبني امية كانوا يتصرفون على اموال الناس كيفما شاؤا ظنا منهم ان اموالهم

واعراضهم أبيحت لهم مطلقاً۔

حقیقة القول انه لما فتحت البلاد فی خلافة **الفاروق** تقدم بعض الصحابة کعبد الرحمن بن عوف وبلال وغیرهما وقالوا ان الارض مقسومه بیننا کما قسم رسول الله خیبر وکان الفاروق رأی غیر هذا فقام النزاع حتی وُفِّقَ الی الاستناد بنص القرآن فسکتوا ورضوا والقصة مذکورة بتفاصیلها فی کتاب الخراج للقاضی ابی یوسف ثم ان بعض البلاد فُتحت صلحاً فمتی کان الخراج او الجزیة شیئاً مُسمًّی مُعیناً ما کانوا یرون الزیادة علیه وان کثرت الارض خیراتها وزادت غلاتها وفتح بعضها عنوة فکان الخراج او الجزیة علیها یقدر النقص والزیادة وهذا هو قول عمر و" ان کثر علینا کثرنا علیکم وان خفف عنا خففنا عنکم" وقد اشار الی ذلک المقریزی فی تاریخه والعلامة السیوطی فی حسن المحاضرة فاما قول سعید بن العاص الذی استند به المؤلف فتحریف الکلام عن موضعه علی جاری عادته فان المؤلف نقل هذه الروایة من الاغانی والمذکور فیه ما حاصله " ان احدا مدح السواد عند سعید بن العاص وبالغ فیه فقال بعضهم نعم ویالیته کان لامیرنا فقال بعض من حضر لا تعط ارضنا للامیر فقال الرجل ولو شاء الامیر لاخذ فانکروا قوله فقال سعید بن العاص " السواد بستان قریش الخ " فقال الرجل لانه من منایح رماحنا " فانت تری ان النزاع بین الجند امیر البلد هنا هو النزاع الذی کان بین بعض الصحابة وعمر الفاروق وای متشبث فی ذلک للمؤلف

فان سعید بن العاص قال ما قال ردًّا علی الجند بدعوی ان الارض لا تقسم
بین فاتحی البلاد بل هی تحت ید الخلیفة او من ینوب عنه وانما ذکر سعید
قریشا لان الخلافة علی زعمهم للقریش خاصة،

قال المولف،

فکان الخلفاء یکتبون الی عمالهم بجمع الاموال وحشدها والعمال
لا یبالون کیف یجمعونها فقد کتب معاویة الی زیاد ،، اصطف لی
الصفراء والبیضاء فکتب زیاد الی عماله بذلک واوصاهم ان یوافوه
بالمال ولا یقسموا بین المسلمین ذهبا ولا فضةً،، (الجز الرابع صفحة ۵
واحال الروایة فی الهامش علی العقد الفرید صفحة ۱۰ من الجلد الاول)
ننقل ماخذ هذه الروایة کما صرح به المولف فی الهامش لتری خیانات
المولف واحدة بعد واحدة، قال صاحب العقد،

،، ونظیر هذا القول مارواه الاعمش عن الشعبی ان زیادا کتب
الی الحکم بن عمر الغفاری وکان علی الطایفة ان امیر المومنین
کتب الیّ ان اصطفی له الصفراء والبیضاء فلا تقسم بین الناس
ذهبا ولا فضة فکتب الیه انی وجدت کتاب الله قبل کتاب امیر المومنین
ثم نادی فی الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفیٔ،، (العقد الفرید
الجلد الاول صفحة ۱۰)

فانظر **اولاً**، انّه ليس فى هذه الرواية انّ معاوية كتب الى زياد بل ان زياد كتب الى الحكم انّ امير المومنين كتب الىّ، ولعل زياداً كذب فى ذلك اوفهم غير ما اراد معاوية بقوله،

ثانياً، انّ المولف حذف كل ما قال الشعبى وما عمل به من تقسيم الفئ، لدلالته على ان فى عمّال بنى امية من لا يمنعه عن الصدع بالحق واداء الواجب احدٌ. لا ولاةُ الامصار ولا من فوقهم اى الخليفة نفسه،

ثالثاً، انّه ليس فى هذه العبارة ما يستدل به على استئثار معاوية المال لنفسه فان مراده ان العمّال ليس لهم تقسيم الفئ، بل الامر موكولٌ الى الخليفة فعلى العامل ان يجمع الاموال ويرسلها الى الخليفة وللخليفة ان يضعها موضعها،

قال المولف،

"فكان العمال يبذلون الجهد فى جمع الاموال بأية وسيلة كانت و مصادرها الجزية والخراج والزكاة والصدقة والعشور واهمها فى اوّل الاسلام الجزية وكثرة اهل الذمة فكان عمال بنى امية يشدّدون فى تحصيلها فاخذ اهل الذمة يدخلون فى الاسلام فلم يكن ذلك لينجيهم منها لان العمال عدّوا اسلامهم الفرار من الجزية وليس رغبة فى الاسلام فطالبوهم بالجزية بعد اسلامهم واول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف واقتدى به غيره من عمال بنى امية فى افريقية وخراسان وما وراء النهر فارتد الناس عن الاسلام

وهم يودّون البقاء فيه وخصوصاً اهل خراسان وما وراء النهر فانهم طلبوا الى اواخر بني امية لا يمنعهم عن الاسلام الا ظلم العمال بطلب الجزية منهم بعد اسلامهم" (الجزء الرابع صفحة ۷۶)

ذكر المؤلف هذه الواقعة اى اخذ الجزية بعد الاسلام فى غير موضع بعبارات متنوعة قوية الاخذ بالنفس شديدة الوطاة على القلب يترائ للناظر فيها ان الناس حيطوا من كل جانب جوراً وعدوانا فاذا ابقوا على الكفر يعانون من الشدة ما يلجئهم الى الاسلام واذا اسلموا فالجزية باقية على حالها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون،

اعلم ان الجزية ليست الا بدلاً عسكرياً فمن يذب عن بيضة الملك بنفسه فهو غير ماخوذ بها اما من ضنّ بالنفس ولا يصلح لذلك فعليه ان يؤدى شيئاً من المال ليكون عدة للعسكر وعوناً له واول من سن الجزية وجعل لها وضايع كسرى نوشروان كما ذكره ابن الاثير وصرح بانها هى الوضايع التى اقتدى بها عمر بن الخطاب، وكم تجد فى البلاذرى والطبرى وغيرها ان اقواماً من النصارى فى عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك او دخلوا فى الجند سقطت عنهم الجزية واعفى عمر بن الخطاب نصارى تغلب عن الجزية واضعف عليها الصدقة وجملة القول ان الجزية لم يكن فى الاصل شيء يحدّ بين الكفر والاسلام ولكن لما كان غالب الحال ان اهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود

كانوا اصحاب حرث وزرع وعمّالٍ فى الديوان وكانوا لا يرضون بمخاطرة النفس واقتحام الحروب ولذلك كانوا مطالبين بالجزية والمسلم لا يمكن له الاعتزال عن الحرب فانه مضطر الى الذب عن بلاد الاسلام طايعاً او مكرهاً، صارت الجزية كانها حدٌّ فاصل بين الرئيس والمرءوس ثم بين المسلم وغير المسلم،

٢- ولما لم ينفصل الامر بتّةً وبقى للاجتهاد موضع ومُتّسم كان بعض العمال يضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام،

٣- ولكن مع هذا لم يتفق ذلك فى مدى الخلافة الاموية الا مرات معدودات يشهد بذلك الفحص والتقصى وامرار النظر والكدّ فى البحث والتنقيب ومع ذلك فكلما وقع مثل هذا لم يكن له بقاء فاما ان يكون الامة هى التى تقيم النكير على العامل او يصل الخبر الى الخليفة فيرد عمله ويمنعه عن الوقوع فى مثله اما ففى سنة ١٠١ لما كتب الحجاج الى البصرة بردّ من اسلم من اهل القرى الى مساكنهم وضرب الجزية عليهم ضجّ القرّاء وخرجوا يبكون مع البكاة من اهل القرى وبايعوا عبد الرحمن بن الاشعث متميزين من عمال الحجاج منكرين عليه كما هو مشروح فى تاريخ الكامل لابن الاثير وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمى بصنيع الحجاج كتب اليه عمر بن عبد العزيز يامره باسقاط الجزية والواقعة مذكورة فى حوادث سنة ١٠٠ فى تاريخ الكامل وكذلك لما فعل يزيدُ بن ابى مسلم فى افريقيه سنة ١٠٢ الّبَ الناس عليه و قتلوه وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب اليهم انى ما كنت مستحسنا

عمل يزيد والقصة مذكورة فى الكامل تحت حوادث ١٠٢ سنة وكان اخرما وقع مثل ذلك ما فعل اشرس فى خراسان فاورث ثورة واشترك العرب مع الثايرين ونصروهم واما خلفاء بنى امية فلم يثبت من احد منهم مثل ذلك وانما كان اراد عبد الملك وضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجرة فترك والقصة مذكورة فى المقريزى بنوع من التفصيل (انظر صفحة ٨٠ من الجزء الاول) والآن نقص عليك بعض خيانات المؤلف،

(١) ذكر وقعة الحجاج وترك نكير القراء عليه وبيعتهم على يد ابن الاشعث انكاراً على صنيع الحجاج،

(٢) ذكر وقعة الجراح (الجزء الثانى صفحة ٢٠) وترك انكار عمر بن عبد العزيز عليه ومنعه عن ضرب الجزية عليهم،

(٣) ذكر واقعة يزيد بن ابى مسلم وترك ان الناس قتلوه وان الخليفة يزيد بن عبد الملك استصوب صنيعهم اى قتلهم يزيد بن ابى مسلم،

(٤) ذكر واقعة اشرس ولم يذكر ان العرب قاموا عليه وكانوا مع الثايرين عليه

ولما ثبت ان ضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام لم يامر به احدٌ من خلفاء بنى امية وانما كان اجتهاداً من بعض العمال بناءً على ان اسقاط الجزية يورث نقصاً فى الخراج وان الخلفاء كلما عثروا على ذلك منعوا العمال عن ضرب الجزية وردّوا عملهم وانه كلما وقع مثل ذلك تالّب العلماء والخيار من الناس

واقاموا النكير على ضاربي الجزية حتى قتلوا بعض العمال ثم استحسن الخليفة قتله فهل المولف ان يحمل وزر بعض العمال على بني امية كافة وهل يصح قوله ،

"ولم يكن عمال بني امية يأتون هذه الاعمال من عند نفسهم دائما بل كثيرا ما كانوا يفعلونه بأمر خلفائهم كما قد رايت مما كتبه معاوية الى وردان" (الجزء الثاني صفحة ٢٢)

اما كتاب معاوية الى وردان فقدم ذكره وليس فيه للمولف موضع حجة ،

قال المولف

"أنه لما راى اهل الذمة ان الاسلام لا ينجيهم من ذلك عمد بعضهم الى التلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم فادرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان واول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فامر باحصاء الرهبان وفرض على كل راهب دينارا"، (الجزء الثاني صفحة ٢٠ مستندا الى المقريزي صفحة ٤٩٢ من الجزء الثاني)۔

ايها الفاضل المؤلف اما هذا الاجتراء اما هذا الاختلاق ؟ اما هذا الكذب الظاهر ؟

هاك نص المقريزي "ثم قدم اليعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندرس فقام اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدائد صودر فيها مرتين اخذ منه فيهما ستة

"الان دينار وفي ايامه امر عبدالعزيز بن مروان فامر باحصاء الرهبان فاحصوا واخذت منهم الجزية على كل واحد دينار وهي اول جزية اخذت من الرهبان" (الجزء الثاني من المقريزي صفحه ٢٩٢)

فهل تجد في هذه العبارة ادنى اشارة الى ان عبدالعزيز واحدا غيره شدد في الجزية فاختار والرهبنة طلبا للنجاة من الجزية فما نفعهم وانما فيها ان عبدالعزيز بن مروان وضع الجزية على الرهبان وهذا ليس فيه كبير شئ فان الرهبان وان كانوا معافون عن الجزية ولكن لما لم يكن الامر منصوصا لا في الكتاب ولا في السنة كان للاجتهاد فيه مساغ فاجتهد عبدالعزيز واخطاء،

الى هذا البحث[1] لو سردنا كل ما قال المولف عن جور بني امية وعمالهم واستيثارهم الاموال واسرافهم في استلابها وبينا ما في كل قول من التحريف والتدليس وتغيير المعنى والخيانة في النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال الكلام واحتجنا الى عمل كتاب منفرد بنفسه فلاجل ذلك اقتصرنا على كشف بعض دسايسه مع انه قل من كل وغيض من فيض،

[1] ومما يناسب ذكره في هذا المقام ان المولف لما انجز الجزء الاول من كتابه ارسله اليّ فكتبت اليه بعد الاعجاب به انه لابد من ذكر مصادر الروايات في كل موضع وذلك لاجل اني كنت اخاف عليه التدليس، فاظهر المولف في مقدمة الجزء الثاني انه عمل بذلك، ويذكر الكتاب والجزء والصفحة ولكن من الاسف ان كل هذا ما اجدى نفعا فانه ما يذكر المطبعة ولاجل هذا كابدت في تطبيق مصادر كتابه محنة عظيمة فان النسخ مختلفة ولا يدري اي نسخة ارادها وبسبب ذلك ما اهتدنا الى اكثرها ولكن من المحقق المستيقن به انه ما نقل عبارة الا وعمل فيها شيئا من التحريف والتغيير ومن كان في ريب من ذلك فليراجع الاصول ويكابد محنة التطبيق ليؤمن بما قلته مع حيرة والله هاش-١٢

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام فاى متعلق فى ذلك لابداء مساوى بنى امية ولعلك تقول لابد فى تاريخ تمدن الاسلام من بيان منهج السياسة وانها هل كانت موسسة على الاستبداد والجور او العدل والنصفة فجر ذلك الى كشف عوار بنى امية عرضا ولكن انا اشدك بالله اما كان لاحد منهم ماثرة تذكر ومنقبة تنقل وسياسة تنفع البلاد ومعدلة تعم الناس نعم ان بنى امية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين وليس هذا عارا عليهم ولا فيه حط لمنزلتهم فان ادراك شاو الراشدين واللحوق بهم امر خارج عن طوق البشر وليس فيه مطمع لاحد ولا موضع رجاء لمجتهد ولكن التوازن والتكايل بين الاموية والعباسية وانما هم ملوك فيهم المحسن والمسئ والعادل والجاير والناسك والخليع والحازم والمغفل بل الذى اعدلهم سيرة وامثلهم طريقة واوفاهم ذمما وارضاهم طورا لا يخلو من عثرات لا تقال وهنات لا تذكر فلو لزم المولف جادة الانصاف ووفى لكل حد قسطه واعطى كل ذى حق حقه لاستراح واسترحنا ولكنه مال الى واحد فاطرى فى مدحه ونال من الآخر فاسرف فى تهجينه وذمه ثم انه لو يفارق فى مدحه وذمه عمود الكتاب اى ذم العرب والحط من شانهم فانه ذم بنى امية لانهم العرب بحتة ومدح العباسيين لا لانهم العرب او انهم من سلالة هاشم او من اقرباء النبى بل لان دولتهم دولة عجمية وقد مرنصه فى ذلك سابقا،

وكان لنا ان نذكر طرفاً من مآثر بني امية وسيرتهم ومبلغهم من حسن السياسة وتعمير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن في اقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بني امية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فاما ما عداهم فلم تطل مدتهم وليس العبرة بهم ان احسنوا او اساؤا

فاما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودي في مروجه مع نوع من الاختصار قال

كان من اخلاق المعاوية انه كان يأذن في اليوم والليلة خمس مرات

كان اذا صلى الفجر جلس للقصاص حتى يفرغ من قصصه × × ×

فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي

ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمرأة

ومن لا احد له فيقول ظُلِمتُ فيقول اعِزُّوه ويقول عُدِيَ عليَّ

فيقول ابعثوا معه ويقول صنع بي فيقول انظروه في امره حتى اذا

لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ائذنوا للناس على قدر

منازلهم فـاذا استووا جلوساً قال يا هؤلاء انما سُميتم اشرافاً

لانكم شرفتم من دونكم بهذا المجلس ارفعوا الينا حوائج من لا يصل

الينا فيقوم الرجل فيقول شهيد فلانٌ فيقول افرضوا له ويقول

آخر غاب فلانٌ من اهله فيقول تعاهدوهم وا قضوا حوائجهم، ثم يوتى بالغداء، والكاتب يقرع كتابه فيأمر فيه، حتى يأتى على اصحاب الحوائج كلهم وربما قام اليه من اصحاب الحوائج اربعون اونحوهم على قدر الغداء،

واطال المسعودى فى بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعد حكاية معترضة "فلنرجع الآن الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى آثروه على الاهل والقرابات" ثم ذكر بعد ذلك عدة وقايع تركناها هربا عن الاطناب،

فاما عبد الملك فقال المدائنى كان يقال معاوية احلم وعبد الملك احزم وهو الذى جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن الحيوة ذلك المحدث المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرجون بن منصور الرومى (وهو نصرانى) وحوّل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما كان فرض معاوية للموالى خمسة فبلغها عشرين ودخل فى بيعته عبد الله بن عمر و محمّد بن حنفيّة" ذكر كل ذلك صاحب العقد فى ترجمته وقد سبق من نسكه و عبادته ما فيه كفاءةٌ فيما مرّ،

وممّا ينقم عليه تاميره الحجاج واكنّ الدولة تحتاج فى ابّانها واوّل نشاءتها

الى مثال ذلك وهذا ابو مسلم الخراساني مؤسس الدولة العباسية قتل ستمائة الف رجل صبرًا وهذا ابو جعفر المنصور فعل بالهاشميين ما لم يسبق له نظير في الاسلام ومع ذلك فاني اعوذ بالله ان اتوم ذاتًا عن الحجاج ومدافعًا عنه"

اما الوليد فكان اهل الشام يفتخرون به وحق لهم ذلك قال صاحب العقد الفريد "كان الوليد عند اهل الشام افضل خلفائهم واكثرهم فتوحا، واعظمهم نفقة في سبيل الله بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر واعطى المجذومين حتى اغناهم عن سوال الناس واعطى كل مقعد خادما وكل ضرير قائدًا وكان يمر بالبقال فيتناول قبضة فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها فانك تربح" وهو الذي وسّع مسجد النبيّ وذهّب البيت قال اليعقوبي ان الوليد بعث الى ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فليعنه فيه فبعث اليه بمائة الف مثقال ذهبا ومائة فاعل واربعين حملا فسيفساء * * وبعث الوليد الى خالد بن عبد الله القسري وهو على مكة بثلثين الف دينار فضربت صفائح وجعلت على باب الكعبة * * فكان اول من ذهّب البيت في الاسلام وحج الوليد سنة ۹۱ لينظر الى البيت والى المسجد وما اصلح منه والى البيت وتذهيبه"

وقال اليعقوبي كان اول من عمل البيمارستان للمرضى ودار الضيافة واول من اجرى على العميان والمساكين والمجذومين الارزاق،

وقال السيوطي في تاريخه للخلفاء "وكان مع ذلك (اي كونه جبارًا ظلوما)

يختن الايتام ويرتب لهم المؤدبين

ثم ان الدول تعرف اقدارها بآثارها وتقضى بفضلها بعملها واخلد الآثار التى تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رتب الدول كثرة الفتوح واستتباب امور الملك والرعية وتوطد دعايم العدل وانتشار العلم ودولة بنى امية قد اخذت من كل ذلك قسطا وضرب فى كل ذلك بسهم

اما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مُطَّلعٌ لطامح انقضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يزخر عبابه فى جزيرة العرب وديار الشام ومصر وبلاد الفرس فلما تسنمت بنو امية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا واتسعت ممالكه وغلب سلطانه وامتدت سطوته ودخلت البلاد النائية المترامية الاكناف فى حوزة حكمه فملكوا ما لم يملكه احد من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم ففتحوا اطرابلس وطنجة وساير بلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والمغول والسند وقبرص واقريطش ورودس وغيرها من جزاير البحر وغزوا صقلية وصالحوا النوبة وتوغلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا اسوار القسطنطنية وضربوا السيف على ابوابها وافتتح السند محمد الثقفى احد ابناء قوادهم وهو ابن سبع عشرة سنة وقد وطئت جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم وحدود بلاد الهند وملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولا ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضا ودخل فى حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والبجة وبرقة

وتونس ومراكش وطرابلس والاندلس وارمينة وخراسان وفارس وتوران والديلم وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وما وراء النهر وبلاد الخزر وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند فمن يدانيهم من الملوك فى سعة الملك ومن يباريهم فى كثرة الفتوح،

استتباب امور الملك والرعية ليس فى سعة الملك كبير فضل اذ لم يكن هنا تأنق فى امور المملكة ونظر فى امور الرعية وقيام بمصالح العباد وتشمير فى عمارة البلاد ولذلك الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا فى امور اهلها ليسوا عند ذوى الخبرة من اهل التاريخ اسمى منزلةً واعلى مكانةً من قطاع الطريق الذين يعثون فى الارض مفسدين اما ملوك بنى امية فقد جمعوا بين بسطة الملك والنظر فى امور العباد وكثرة الفتوح وعمارة البلاد حفروا الانهار وعمروا الطرق وشادوا المصانع وابتنوا المساجد وبذلوا الاموال وقضوا الحوائج وكشفوا المظالم واغمروا المجذومين والعميان والمقعدين والصعاليك بالجزيل من الاحسان واجروا لهم الارزاق ثم رتبوا المصالح ودونوا الدواوين وحصنوا الحصون وبنوا المدن والقصور،

فقد مر من ذلك شئ كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه العجالة التى هى كالطل من الوبل اما المصانع فانه حصن هشام المتقب على يد حسان بن ماهون الانطاكى وحفر له خندقا وبنى حصن قطرغاش وحصن مورة و حصن بوقا من عمل انطاكية وبنى سعيد بن عبد الملك سور الموصل وهو الذى

هدامه الرشيد وفرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة المروانيين وسار
العباس بن الوليد الى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجدا جامعا
واسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب اربعة وعشرين الفا من
اهل الشام على العطاء وبنى هريا (مخزنا) للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح و
امر بكبس الصهريج ورم المدينة وشرفها واحدث الحجاج احد امراءهم في سنة ٨٣
مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها
واحدث سليمان بن عبد الملك في ولايته مدينة الرملة ومصّرها وبنى فيها
القصور ومسجدا وحفر الآبار والقنى والصهاريج وبنى احد قوادهم عقبة بن نافع
الفهري بافريقية قيروانها واحدثوا غيرها من المدن والحصون والارباض
في الاندلس وحدود بلاد الروم والسند،

ثم امّنوا الطرق وعمّروا السبل فكان موضع **قيروان** غيضةً ذات
طرفاء وشجر لا يُرام من السباع والحيات والعقارب القتالة فاحدثوا فيه تلك
المدينة الزهراء فاصبحت طرق افريقية آمنةً مستأنسة بعد ما كانت مستوحشة
ذات مخاوف ومهالك وكانت الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة مسبعة
يعترض للناس فيها الاسد فوجّه الوليد اليها اربعة الف جاموسة وجاموس
فنفع الله بها واذكر ما كتبه ابن الاثير في حوادث سنة ٨٨ "ان الوليد كتب
الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الآبار" وكان الموضع الذي فيه

نهر سعيد بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر وعمر ماهناك ولما بغى سيل الجراف بمكة فى سنة ۸۰ فى زمن عبد الملك امر عامله بعمل ضفاير الدور الشارعة على الوادى وضفاير المسجد وعمل الردم على فوام السكك وحفر عدى عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدى[1]

ومن الاخبار التى تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم فى ازاحة خللها واماطة اذاها انه شكا اهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه ان بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق فانفقه عليه فحفر لهم النهر الذى يعرف بنهر ابن عمر وحفر عمالهم الجابرون الغاشمون (كما يقول جرجى أفندى زيدان) والمنتسبون اليهم كثيرا من الانهار غير ما ذكر كنهر معقل ونهر دبيس ونهر الاساورة ونهر عمرو ونهر ام حبيب ونهر حرب ونهر يزيدان ونهر سلم ونهر نافذ ونهر خيرتان ونهر مرة نهر مرة ونهر بشار ونهر بزور ونهر حبيب ونهر ذراع ونهر ابى بكرة وغيره من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها بالبصرة[2] فما بال غيرها من البلاد،

اما ما بذلوا من الاموال وافرغوا من الجهد فى بناء المسجد النبوى وتذهيب البيت والمسجد الاموى الذى هو معدود من احدى العجايب

[1] راجع لكل ذلك البلاذرى۔

في كثرة نفقاته وعظمة بناءه ودقة صنعه وبهجة منظره وحسن نظامه فهو اشهر من نار على علم

وبنو امية هم اول من اتخذ دار الضرب في الاسلام فكسوا به الاسلام رفعة واغنوه عن نقود الروم والفرس ونحوه عما اوعده الروم بنقش شتم النبي صلى الله عليه وسلم عليها وهم الذين نقلوا الدفاتر والدواوين عن الفارسية والرومية والقبطية الى العربية[51] فزادت العربية انتشارا ونفوذا ولم يمض برهة من الدهر حتى اصبحت هذه البلاد عربية النزعة واللسان وهم اول من بنى مستشفى في الاسلام بنوه بدمشق سنة ثمان وثمانين جعلوا فيه الاطباء وامروا بحبس المجذومين واجروا لهم الارزاق وهم اول من انشاء دار للعميان وهم اول من عمل دار الضيافة بعد[52] عمر بن الخطاب وهم اول من رثى للايتام وتحنن اليهم ورتب لهم المودبين ليعلموهم[53]،

نشر المعارف والعلم اما العلم فقد زخر بهم بحره وزهر بدره فالقرآن الذي هو عمود الاسلام وراس العلوم وينبوع المعارف ادرك الامة قبل اختلافها فيه عثمان بن عفان وهو اموي ثم بعد ذلك اختلط العرب بالعجم واحتكت بهم ففسدت لغتها واسلمت العجم فلم تستطع السلامة من اللحن فكثر التصحيف في القرآن

---

٥١ راجع لكل ذلك فتوح البلدان للبلاذري،

٥٢ اليعقوبي ذكر الوليد،

٥٣ السيوطي ذكر الوليد،

وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو احد امراء بنی امية الی کتّابه فوضعوا النقط والاعجام[1] فعصموا به کتاب الله ان یتطرق الیه التصحیف والتحریف تطرقهما الی التوراة والانجیل ووالله هذا اعظم مبرّة برّ بها الاسلام لا یساویها مبرّة واعظم منّة مَنّ بها علی الدین لا یوازیها منة ثم کتب الحجاج المصاحف وفرقها فی الامصار وکان الولید الذی رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن یحث الناس علی حفظ القرآن وکان یجزل الصلات لحفظته ویضرب الذین لم یحفظوه[2] فکثر حفظته وعظم قدرهم وجلت رتبتهم،

اما التفسیر ففی ایامهم نبغت اجلة المفسرین من التابعین وفی ایامهم دُوّن التفسیر فی الصحف فاول من وضع فی التفسیر ابن جبیر بامر عبد الملک[3] ثم مجاهد

اما الحدیث فکانوا یدرّون علی اهله الصلات ویبعثون الیهم بالهدایا ویجرون لهم الارزاق لینقطعوا الی حفظ الحدیث وروایته ونقله وکانوا یکرمون الفقهاء ویجلّون مقامهم ویراعون جانبهم فقد کان یصیح صائحهم من بنی مروان فی موسم الحج الا لا یفتی للناس الا عطاء بن ابی رباح، اجلالا لشانه ولکثرة علمه بالمناسک[4] وکان عبد الملک امر الحجاج هو امیره

---

[1] ابن خلکان ذکر الحجاج، [3] میزان الاعتدال للذهبی ذکر عطاء بن دینار

[2] العقد اخبار الولید وابن الاثیر سنة ۸۸،

[3] ابن خلکان ذکر عطاء، [4] مقدمة شرح الموطا للزرقانی،

علی الموسم ان یقدم ابن عمر فی الحج ویقبض اثرہ فی المناسك وکان سالم
ابن عبداللہ والقاسم بن محمد والشعبی ومیمون بن مہران والزہری و
ایوب بن ابی تیمیہ وقبیصۃ بن ذؤیب ورجا بن الحیوۃ اعزۃ عند بنی امیۃ
وکان اکثرہم عمالاً لہم وہم اساطین الحدیث وایمۃ الروایۃ واعلام النقل
وانت تعلم ان احادیث الرسول صلی اللہ علیہ وسلم لولا استودعت بطون
الصحف لضاعت بہلاك العلماء واسراع الموت فیہم فاسئلك بحرمۃ
التاریخ من امر اہل ہذا الشان بتدوینہا فی الکتب الیس ہو عمر بن عبد العزیز
الاموی فجاء فی الآثار ان عمر بن عبد العزیز کتب الی الآفاق "انظروا حدیث
رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم فاجمعوہ" وکتب الی ابی بکر بن حزم راس
المحدثین ان انظر ما کان من سنۃ او حدیث فاکتبہ لی فانی خفت دروس العلم
وذہاب العلماء وقد کتب ابن حزم کتبا فی الحدیث فتوفی عمر ثم وضع الکتب فیہ
ربیع بن صبیح وکان عمر بن عبد العزیز یکتب الی الامصار یعلمہم السنن والفقہ[1]
اما اصول اللغۃ ونحوہا فقد کان تدوینہا بامر امراء بنی امیۃ ذکر
ابن خلکان (المجلد الاول صفحۃ ۲۴۰) ان ابا الاسود الدؤلی استاذن زیاد بن ابیہ
وہو والی العراقین یومئذ ان یضع للعرب ما یقیمون بہ لسانہم فابی ثم بدا لہ
صواب رایہ فدعا الدؤلی وقال لہ ضع للناس الذی نہیتك ان تضع لہم

[1] مقدمۃ الزرقانی علی الموطا

فوضعه واخذ عنه ما وضعه عتبة بن مهران المهري وعنه ميمون وعنه عبد الله الحضري وعنه عيسى بن عمر وعنه الخليل[1] وهؤلاء كلهم كانوا فى عصر بنى امية وهم واضعوا النحو وممدونوا اصوله،

اما الشعر فقد ففى عصرهم نفقت السنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذكرهم فمن فحول الشعر وامراء القول وفرسان القريض هم الفرزدق الدارمى وجرير الخطفى والاخطل التغلبى وعمر بن ابى ربيعة القرشى وكثير عزة وجميل بثينة ومجنون ليلى وذو الرمة غيلان ونصيب هؤلاء كلهم كانوا يقصدونهم بجياد قصائدهم فكانوا يغمرونهم بالجوائز فنطقت السنتهم بما اصبح زهرة للادب وزينة للغة،

وكانوا يحثون الناس على اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس اخبار الشعراء وكانوا يستوفدون الشعراء ويستزيرونهم ويجيزونهم بالاموال الجزيلة وكانوا يرسلون ابناءهم الى البادية ليتلقنوا الادب ويتلقفوا اللغة من افواه الاعراب واهل البادية وقد جمع الوليد بن يزيد عبد الملك ديوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها[2]،

اما علم التاريخ والسير والمغازى فبعصرهم افتتح عصره وبامرهم ارتفع امره ففحول اصحاب السير والمغازى هو وهب بن منبه عالم اليمن المتوفى سنة ۱۱۴ ومحمد بن مسلم الزهرى صاحب عبد الملك المتوفى سنة ۱۲۴

[1] ابن خلكان المجلد ۲ صفحة ۳۰۰، [2] الفهرست صفحة ۹۱،

وموسیٰ بن عقبۃ المتوفی سنۃ ۱۴۱ وھؤلاء کلھم کتب فی التاریخ والسیر والمغازی[۱]
ووضع فی ایامھم عوانۃ المتوفی سنۃ ۱۴۷ کتاب التاریخ وکتاب سیرۃ معاویۃ و
بنی امیۃ وکان لملوک بنی امیۃ رغبۃ شدیدۃ فی استطلاع الاخبار الماضیۃ و
حوادث الامم الخالیۃ قال المسعودی انہ کان معاویۃ یجلس لاصحاب الاخبار
فی کل لیلۃ بعد العشاء الی ثلث اللیل ثم ینام ثلث اللیل ثم یقوم فیاتیہ غلمان
وعندھم کتب فیقرؤن علیہ ما فی الکتب من اخبار الامم وسیر الملوک وسیاسات
الدول ولم یصبر علی ذلک حتی استحضر عالم عصرہ عبید بن شربہ من
صنعاء الیمن وسالہ عن الاخبار المتقدمۃ وملوک العجم وسبب تبلبل الالسنۃ
وامر افتراق الناس فی البلاد وامرہ ان یدوّن ما علمہ وعاش عبید الی ایام
عبد الملک وتوفی ولہ من الکتب کتاب الامثال وکتاب اخبار الماضیین[۲]
واخذ عنہ اناسٌ سماھم ابن الندیم وکان من رواتہ زید الکلابی فی ایام
یزید بن معاویۃ عارفٌ بایام العرب واحادیثھا (الفھرست صفحۃ ۹۰) وقد
کان ھشام مشغوفا بالسیر والاخبار فنقل لہ جبلۃ بعض کتب سیر الفرس
من الفارسیۃ الی العربیۃ وامر ھشام النَّقلۃ فنقلوا لہ کتاب تاریخ ملوک الفرس
وقوانین دولتھم وتراجم رجالھم وکان ھذا الکتاب مصورا تمّ نقلہ سنۃ ۱۱۳

---

[۱] راجع کشف الظنون وتذکرۃ الحفاظ۔

[۲] کتاب الفھرست صفحۃ ۲۴۴۔

راٰه المسعودی سنة ۳۰۳ فی مدینة اصطخر کما ذکر فی التنبیه (صفحة ۱۰۶)،

اما علوم الفلسفة ومنها الطب والکیمیاء فکان لهم فی نقلهما الی العربیة آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاویة کتب الطب من الیونانیة وهذا اوّل نقل فی الاسلام وکان فی البصرة فی ایام مروان بن الحکم طبیب ماهر یهودی النحلة عارف بالعربیة اسمه ماسرجویة فنقل ماسرجویه هذا کناش القس اهرون ابن اعین فی السریانیة الی العربیة فلما تولی عمر بن عبد العزیز وجد هذا الکتاب فی خزاین الکتب فی الشام فاخرجه الی الناس وبثّه فی ایدیهم[له] وخالد بن یزید بن معاویة حکیم آل امیّة اول من طلب علوم الفلسفة فی الاسلام وخبره انه کان یطمع فی الخلافة فلما وثب مروان علیها رغب خالد عنها الی طلب العلم فاستقدم جماعة من فلاسفة الیونانیین ممن کان ینزل مدینة مصر ومنهم مریانوس الرومیّ الذی اخذ عنه صنعة الکیمیا والطب وامرهم بنقل الکتب من الیونانیة والقبطیة الی العربیة فنقلوها له ولخالد کلام فی الکیمیا والطب وکان بصیرًا بهذین العلمین متقنًا لهما وله رسایل دالّة علی معرفته وبراعته کما اخبر به ابن خلکان وقد ذکر له ترجمة صالحة ابن الندیم فی فهرسته ونقل سالم کاتب هشام وهو ابو جبلة المارّ ذکره رسایل ارسطاطالیس الی الاسکندر فبناءً علی ما قدمنا من القول بنو امیة هم اول من استقدم الفلاسفة

[له] اخبار الحکما، وعیون الانباء،

واستدناهم فی الاسلام هم اول من امر بنقل العلوم الی العربیة فی الاسلام هم اول من انشأ خزاین للکتب فی الاسلام وقد اضربنا صفحا عما کان لال امیة بالاندلس فی السیاسة والعلم من المأثر الحسنة والاعمال الجلیله والسیر العادلة فهل لك ایها الفاضل المؤلف الی الاذعان للحق من سبیل والی الرجوع من ضلال الرای من طریق،

صنیع المولف بالعباسیة عهدنا الوحوش الضاریة مع جفاء طبعها وقسوة قلبها وکونها مطبوعة علی الافتراس والفتك والتروی بالدم اذا دخلت غابتها واحاطت بها عایلتها تبدل القسوة بالرحمة والغلظة باللطف والغضب بالحنان فبینما اسد هصور کاشر عن الانیاب کالح الوجه مستبشع المنظر کریه الهیئة اذ هو هش بش حنون عطوف یذوب لطفا ورقة وکذلك شأن قواد الجند وابطال الحرب فانك تری احدهم اذا نازل الاکفاء وناطح الاقران فهو شهاب ینقض ونار تلتهب وسعیر تفور واذا عاشر الاصحاب فهو الینهم جانبا واحلاهم خلقا واوسعهم حلما وارقهم طبعا وقد جربنا المولف وجمعنا عوده فی معاملته مع اعدایه (بنی امیة) فلننظر کیف حاله فی معاشرته مع اصدقایه (العباسیة)

قال المولف.

" فجنب بعضهم الی المنصور ان یستبدل الکعبة بما یقوم مقامها فی العراق "

تکون حجا للناس فبنی بناء سماه القبة الخضراء تصغیرا للکعبة وقطع المیرة

فی البحر عن المدینة" (الجزء الثانی صفحہ ۳۰)

وقال،

"وارادالمعتصم ان یستغنی عن بلاد العرب وقد بنی سامرا بقرب

بغداد واقام فیھا جندہ فانشاء فیھا کعبة وجعل حولھا طوافا واتخذ

منی وعرفات" (الجزء الثانی صفحہ ۳۲)

وقال،

فلما افضت الخلافة الی المامون + فاخذ شیاعہ وصرح باقوال لم یکونوا

یستطیعون التصریح بھا خوفا من غضب الفقہاء و فی جملتھا القول بخلق

القران ای انہ غیر منزل (الجزء الثالث صفحہ ۱۴۱)

غیر خاف علی احد ان العباسیین افتخروا وتطاولوا علی منازعیھم

فی الریاسة فمعظم فخرھم وابین حججھم انھم بنو عم النبی وسدنة البیت

وخدمة الحرم ودعاة الاسلام ونقباء القران وصاحبنا یقول ان المنصور

وھو موسس دولتھم وفاتحة خلفاءھم بنی القبة الخضراء ارغاما للکعبة

وقطع المیرة عن المدینة تضیقا علی اھلھا وان المامون وھو افضل خلفاءھم

دینا وورعا کان ینکر نزول القران وان المعتصم وھو فحلھم وواسطة عقدھم

بنی کعبة فی سامرا وجعل لھا طوافا" ولعلک تقول ان الحاکم بالعدل والقایم

بالقسط لیس لہ حمیم ولا عدو فھو یتحری الصدق ویدور مع الحق کیفما دار

فالمولف اذا اتتها سيئة من بني العباس قضى عليهم من غير محاباة بهم ولا ميل اليهم ولكن لك اذا عرضت له حسنة من بني امية فهو يوفي حقهم من الاستحسان وحسن القول وتنويه الذكر هيهات هذا كان رجاؤنا فخاب الظن وكذب الامل وذهب الثقة فان المولف لما ذكر بني امية عقد لمثالبهم ابوابا منها استخفافهم بالدين وذكر فيه قتال عبد الملك مع ابن الزبير فقلب الرواية كما اسبقنا ذكره فلو كان مغزى المولف الصدق وبيان الحقيقة لكان يعقد بابا للعباسية ايضا يذكر فيه استخفافهم بالكعبة وانكارهم لنزول القرآن وههنا موضع نظر الى دقة مكيدة المؤلف وحسن احتياله فانه يريد من طرف الغض من الكعبة والحط من القران ومن طرف الانتصار للعباسية والذب عنهم لاجل انهم كسروا شوكة العرب واتخذوا العجم بطانتهم وعمود دولتهم فذكر استخفافهم بالكعبة ولكن مغموسا مبددا تحت عنوان ثروة الدولة الاسلامية ليأخذ بطرفي المطلوب ويفوز ببغيتيه معًا،

اما كشف الجلية عن اصل الحال فالامر ان من يدعى الخلافة (وهي منصب ديني) ويرشح لها نفسه لا يجد الى ذلك سبيلا الا بالتظاهر بالدين والتصبغ به ونصب نفسه لاعلاء كلمته ورفع مناره وحمل الناس على تعظيم شعائره والتدلي الى خاصة القائم به ليجلب عطف القلوب وجذب الاميال ورضاء العامة والتحبب الى الناس ولذلك كان الخلفاء من بني امية

والعباسية كلاهما) يصلون بالناس ويؤمونهم ويخضرون الموسم ويحجون بهم او يرسلون من خاصتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك لما اراد اهل الشام المكيدة بعلي رضي الله عنه ورفعوا المصاحف كف اصحاب علي من القتال ولما قال علي هذه خديعة منهم قالوا اذا لرتدا عن هذا خلعناك فلم يقدر على خلافهم ورضي بالحكمين وفق رضاه ولما فعل يزيد مافعل ضج الناس وكادوا يبطون عليه لولا انه مات عاجلاً ولما اراد الحجاج قتال ابن الزبير اغراهم بان ابن الزبير الحد في الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق تلقاء الزيادة التي كان زادها ابن الزبير رض ولما جاهر الوليد ابن يزيد بالفسق قاموا عليه وقتلوه ولما قال ابو نواس يمدح الامين وصل القصيدة بهذا البيت

الا فاسقني خمراً وقل لي هي الخمر ‌ ‌ ‌ ولا تسقني سراً فقد امكن الجهر

اتخذ المامون هذا وسيلة لاغراء الناس على مخالفة الامين فهل تصدق بعد كل ذلك بان المنصور او المعتصم كان يقدر او يسوغ له ان يصغر شان الكعبة ويمس من شرفها وهل كان يقدر المامون ان يحمل الناس على انكار القرآن والعياذ بالله - فاما استشهاد المؤلف في هذه الواقعة بابن الاثير وغيره فكله تحريف وتدليس وسوء تأول ولولا اني سئمت من كشف دسائسه مرة بعد اخرى لاوضحت الامر وبينت حقيقة الحال،

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ٢١٨ واصطنع الاتراك والفراغنة

ازداد العرب احتقارا فى عيون اهل الدولة وتقاصرت ايديهم عن اعمالها حتى فى مِصْرَ فاَصْبَحَ لفظ العربي مرادفا لاحقر الاوصاف عندهم ومن اقوالهم العربي بمنزلة الكلب اطرح له كسرة واضرب راسه وقولهم لا يفلح احد من العرب الا ان يكون معه نبيٌّ ينصره الله به (الجزء الثاني صفحه ۳۱ و ۳۲)

من احسن اعمال اٰل عباس عند المولف انهم صغّروا شان العرب و ساموها الخسف وسلّطوا عليهم الاعاجم والاتراك وجعلوهم ولاة البلاد بيدهم الامرُ والنهى والرفع والخفض والعقد والحل والنقض والابرام ذكر ذلك فى غير مواضع وكلما ذكر وجد من نفسه ارتياحًا اليه وشفاءً لحزازته وهزةً لعطفه ونيلًا لاربه ومع ان الواقعة مكذوبة او مُحرّفة على جرى عادته فنحن لا ننازعه فى ذلك ونطوى الحديث على غرته ولكن نقول اذا مدح احدٌ مثلا دولة افرنسا وقال انهم ذلّلوا الفرنساويين وارغموا انفهم واستلبوهم المناصب وقلّدوا الولايات الاجانب وجعلوهم قابضى ازمّة الامور يولّون ويعزلون وينفقون ويمسكون فهل هذا يكون مدحًا ترضى به دولة فرنسا اويكون هذا عارا يستحى منه ومسبة يستنكف عنها وشناعة تشمأزُّ عنها القلوب وانصف من نفسك ما كان حظُّ العباسيين من تولية الاعاجم اما اٰل برمك فلا ننكر فضلهم ومحاسن اٰثارهم ولكنهم مع كل ذلك استاثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتى لم يكن حظّ الخلفاء من الخلافة

الا الاسم فقط فاضطر الرشيد الى النكبة بهم و ازالة دولتهم واما الاتراك فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء وسجنوهم و عذبوهم بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعا يسألون الناس ولا يعطون فهل هذه سياسة تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة تفتخر بها۔

الخلفاء الراشدون المولف حرفته تاليف الكتب متكسبا به وهو يعرف حق المعرفة انه لو انتقد على الخلفاء الراشدين و نال منهم تصريحا كسد سوقه وخاب صفقته فدبر لذلك حيلا يكاد لا يتفطن لها اللبيب المتيقظ فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رؤس المثالب ونسبها اليهم بانواع الاحتيال فتارة بتبديدها فى ثنيات الكلام وابعادها عن موضع العناية و تارة بايرادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها وتارة بذكرها محتالا لها عذرا واذا كررت النظر فى كلامه وتصفحت ما فيه وجمعت ما هو مبدد و نظمت ما هو مفرق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من اشد اعداء العلم وانهم ابادوا الكتب و الخزانات واضطهدوا اهل الذمة وجعلوهم اذلاء لا يؤذن لهم ولا يوبه بهم،

اما كونهم اعداء العلم فبين المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال،

”كان الاسلام فى اول مرة نهضة عربية و المسلمون هم العرب كان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب ارادوا المسلمين و بالعكس فى اجل

هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب وتمكن هذا الاعتقاد في الصحابة لما فازوا في فتوحهم وتغلبوا على دولتي الروم والفرس فنشأ في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن''

''اما في الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام ان الاسلام يهدم ما كان قبله فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن''

''فتوطدت العزائم على الاكتفاء به عن كل كتاب سواه ومحو ما كان قبله من كتب العلم في دولتي الروم والفرس كما حاولوا بعدئذ بهدم ايوان كسرى واهرام مصر وغيرها من آثار الدول السابقة''

(الجزء الثالث صفحه ۳۹)

''وبناءً على ذلك هان عليهم احراق ما عثروا عليه من كتب اليونان والفرس في الاسكندرية وفارس (الجزء الثالث صفحه ۱۳۵)

حريق الخزانة الاسكندرية لم يقتنع المؤلف بذلك فعقد بابا لاثبات ان حريق الخزانة الاسكندرية كان بامر عمر بن الخطاب واطال واطنب في ذلك واستدل عليه بستة دلائل[1] نحن نذكرها مع الرد عليها اجمالاً،

قال اولاً،

[1] الجزء الثالث من تمدن الاسلام،

"قد رايت فيما تقدم رغبة العرب فى صدر الاسلام فى محو كل كتاب غير القرآن بالاسناد الى الاحاديث النبوية وتصريح مقدمى الصحابة"

الذى ذكر قبل ذلك (انظر صفحة ٣٩) وحوّل عليه ههنا اقوال منها؟ "ان الاسلام يهدم ما كان قبله" وكلنا يعرف ان المراد به ابطال عوايد الجاهلية ومزعوماتها وليس المراد محو الكتب او احراق الخزاين ولكن لما كان المؤلف = خيلافينا غريب الذوق والمعرفة حمل الكلام على غير محله اولعله عارف يتجاهل وبصير يتعامى

ومنها قول النبى عليه السلام "لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنّا بالذى انزل علينا وانزل عليكم والهنا والهكم واحدٌ"، ولا شيء متعلق فى هذا بل هو يخالف لما يريده المؤلف فان الحديث يامر بالايمان بما انزل الى اهل الكتاب اما الاغفال عن تصديق اهل الكتاب وتكذيبهم فلاجل كون اهل الكتاب غير موثوقين بهم فى الرواية ومنها ان النبى صلى الله "راى فى يد عمر ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب فى وجهه ثم قال الم اتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى" وهذا لا مستند فيه للمولف فان النبى صلى الله عليه وسلم خاف على عمر عنايته بالتوراة والتصديق بكل ما فيها مع كونها مغيرة لعبت بها ايدى النقلة ولذلك قال الم اتكم بها بيضاء نقية، وهذا لا يستلزم بل ليس فيه

ادنى اشارة الى محوها والحاق الضرر بها ونزيدك ايضاحا للكلام بما فيه ثلج الصدر وفصل الخطاب، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاه هو **القران** وعليه المعوّل وهو المتمسك فى كل باب وكان هو العروة الوثقى فى هذا العصر للصحابة واهل القرن الاول و**القران** له عناية كبرى بالتوراة والانجيل وهو الذى نوّه بذكرهما وعظم شانهما، **فقال**

فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، والمراد بالذكر التوراة،

انا انزلنا التوراة فيها هدى،

ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم،

مصدقا لما بين يدى من التوراة،

مصدقا لما بين يديه من التوراة،

ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه (اى التوراة والانجيل)

ولاجل ذلك كان عدة من اجلة الصحابة منقطعين الى قرءة التوراة والانجيل والاعتناء بحفظهما ودرسهما ولم يكتفوا بها بل اخذوا يرودون يتفاوضون كل ما وجدوا من اقاصيص اهل الكتاب ومروياتهم وقد اعترف بذلك المؤلف نفسه فقال،

"وقد رايت ان العمدة فى التفسير على النقل بالتواتر والاسناد من النبى

فالصحابة فالتابعين، والعرب يومئذ اميون لا كتابة عندهم فكانوا اذا اتشوقوا الى معرفة شئ مما تتوق اليه نفوسهم البشرية من اسباب الوجود وبدء الخلقة واسرارها سالوا عنه اهل الكتاب قبلهم من اليهود والنصارى. فكانوا اذا سئلوا عن شئ اجابوا بما عندهم من اقاصيص التلمود والتوراة بغير تحقيق فامتلات كتب التفسير من هذه المنقولات (الجزء الثالث صفحة ٦٤)

وذكر المؤلف عقيب ذلك وهب بن منبه وانه قرء من كتب الله ٧٢ كتابا ثم قال،

"فكان للعرب ثقة كبرى فيه،، وقال بعد ذلك فكانت كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار وفيها الغث والسمين مما نقل اليها من الاديان الاخرى"،

فانظر كيف يناقض المولف نفسه فقال،

"فنشاء في عتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن "فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن"

"فتوطدت العزايم على الاكتفاء به (اى القرآن) عن كل كتاب سواه ومحو ما كان قبله من كتب العلم"،

ويقول الآن ان كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار.....

مما نقل اليها من الاديان الاخرى وانه كان للعرب ثقة كبرى فى وهب بن منبه وان كتب التفسير امتلاءت من منقولات اهل الكتاب" فلو كان اهل القرن الاول يبغضون ما سوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه المؤلف فمن روى الاسرائيلات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها فى التفسير ولما كان المسئلة موضع زيادة تفصيل نزيد لك توضيحا وتفصيلا ،

كانت لعدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من الكتب السماوية فمنهم ابو هريرة الذى كان ملازما للنبى عليه السلام منقطعا الى الرواية ، لم يدان له احد فى كثرة الرواية كان مشغوفا بقراءة التوراة ودرسها قال العلامة الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمته "عن ابى رافع عن ابى هريرة انه لقى كعبا (وهو حبر اليهود) فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب ما رايت احدا لم يقرء التوراة اعلم بما فيها من ابى هريرة "

ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص احد من هاجر قبل الفتح، قال الذهبى فى طبقات الحفاظ "كان من اياه النبى صواما قواما تاليا لكتاب الله طلابة للعلم كتب عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرا + + وكان اصاب جملة من كتب اهل الكتاب وادمن النظر فيها ورأى فيها عجائب ،

ومنهم عبد الله بن سلام حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبى وفيه ورد قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب نقل الذهبى بعد ذكر فضائله

وکونه عالماً باهل الکتاب روایة بالاسناد یرفعه الی عبدالله بن سلام انه جاء
الی النبی صلی الله علیه وسلم فقال انی قرءت القرآن والتوراة فقال اقرء
هذا لیلةً وهذا لیلةً" فهذا ان صح ففیه الرخصة فی تکریر التوراة وتدبرها،

ومنهم **کعب الاحبار** کان من کبار اهل الکتاب، اسلم فی زمن ابی بکر
قال الذهبی قدم من الیمن فی دولة امیر المومنین عمر فاخذ عنه الصحابة
وغیرهم واخذ هو من الکتاب والسنة عن اصحابه" فهذا کانه تصریح فی ان
الصحابة اخذوا عنه علم اهل الکتاب،

ومنهم **وهب بن منبه** قال الذهبی فی ترجمته "وعنده من اهل
الکتاب شئ کثیر فانه صرف عنایته الی ذلک، وکان ثقة واسع العلم ینظر
بکعب الاحبار فی زمانه، وعن وهب قال یقولون عبدالله بن سلام اعلم
اهل زمانه وکعب اعلم اهل زمانه،

فهل بعد کل هذا یصح قول المولف، ان الصحابة ومن یلیهم کانوا
یقولون انه لا ینبغی ان یقرء کتابٌ غیر القرآن ومحوا ما کان قبلهم من
العلم عیاذاً بالله،

قال المولف

ثانیاً جاء فی تاریخ مختصر الدول لابی الفرج" ثم نقل روایة الاحراق
برمتها واطال فی اثبات ان اباالفرج لیس باول من روی هذه الروایة

بل ذکرها عبد اللطیف البغدادی عرضاً فی ذکرہ عمرو والواری و ذکرها القفطی فی تاریخ الحکماء"

لا ننازع المولف فی ان ابا الفرج مسبوق فی ذکر هذہ الروایۃ بالقفطی والبغدادی ولکن ماذا ینفعہ ذلك فان البغدادی وهو اقدمهما من القرن السادس للهجرۃ وذکر الروایۃ من غیر اسناد ومن غیر احالۃ علی کتاب

نعوذ المولف من صباہ بقبول مختلقات اهل الکتاب واوهامهم فسبّب ذلك انّه یزن التاریخ الاسلامی بمیزانٍ غیر میزاننا ولذلك یصغی الی کل صوتٍ ویستمع لکل قائل لا یعرف ان هذا الفن له اصول ومبادئ وقواعد ومالم یکن الروایۃ مطابقۃ لهذہ الاصول الیقینیۃ لا یلتفت الیها اصلا منها ان الناقل للروایۃ لابد ان یکون شهد الواقعۃ فان لم یشهد فلیبیّن سند الروایۃ ومصدرها حتی یتصل الروایۃ الی من شهدها بنفسہ

ومنها ان یکون رجال السند معروفین بصدقهم ودیانتهم،

ومنها ان لا یکون الروایۃ تخالف الدرایۃ ومجاری الاحوال،

ولذلك اهتم مورخو الاسلام قبل کُلّ شیٔ بضبط اسماء الرجال والبحث عن سیرهم واحوالهم ودیانتهم ومحلهم من الصّدق فدوّنوا کتب اسماء الرجال وکابدوا فی ذلك محنۃ یضیق عنها النطاق البشری فعملوا کتبا غیر محصورۃ منها الکامل لابن عدی والثقات لابن حبان وتهذیب

الكمال للمزی وتهذیب التهذیب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد ولابن ماكولا وابن عبد البر ولابن الاثیر ولابن حجر، وتهذیب الاسماء للنووی ومیزان الاعتدال للذهبی ولسان المیزان لابن حجر۔

وتجد كتب القدماء من مورخی الاسلام كلها واكثرها كتاریخ البخاری وسیرة بن اسحاق وتاریخ الطبری وابن قتیبة وغیره مسلسل الاسناد مبینة الاسماء لیمكن نقد الروایة ومعرفة جیدها من زیفها،

فاول شیء یهمنا فی هذا البحث ان نری هل ذكر القفطی والبغدادی هذه الروایة مسندة وذكرا مصدر الروایة واسماء رواتها ام لا،

وانت تعلم ان البغدادی والقفطی من رجال القرن السادس والسابع فای عبرة بروایة تتعلق بالقرن الاول یذكرانها من غیر سند ولا روایة ولا احالة علی كتاب،

اما كتب القدماء الموثوق بها فلیس لهذه الروایة فیها اثر ولا عین هذا تاریخ الطبری والیعقوبی والمعارف لابن قتیبة واخبار الطوال للدنیوری وفتوح البلدان للبلاذری والتاریخ الصغیر للبخاری وثقات ابن حبان والطبقات لابن سعد قد تصفحناها وكررنا النظر فیها ومع ان فتح الاسكندریة مذكور فیها بقضها وقضیضها لیس لحریق الخزانة فیها ذكر،

وعلاوة علی ذلك فان فی فتح مصر كتبا مختصة بذلك مثل خطط مصر

للکندی وکشف الممالك لابن شاهین، وتاریخ مصر لعبد الرحمن الصوفی و تاریخ مصر لابن برکات النحوی وتاریخ مصر لمحمد بن عبد الله وغیرها مما ذکرها صاحب کشف الظنون، والمقریزی جمع واوعی کل ذلك ولم یترك روایة ولاخبرًا یتعلق بمصر الاوذکره عند تفصیل الفتح ولم یذکر هذه الواقعة عند ذکر فتح الاسکندریة،

قال المولف،

واما خلو کتب الفتح من ذکر هذه الحادثة فلابد له من سبب والغالب انهم ذکروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامی واشتغال المسلمین بالعلم ومعرفتهم قدر الکتب فاستبعدوا حدوث ذلك فی عصر الخلفاء الراشدین فحذفوه ولعل لذلك سببًا اخر، (الجزء الثالث صفحه ۴۵)

لایستبعد مثل هذا الکلام عن مثل المؤلف وکیف یقدر دیانة مورخی الاسلام وشدتهم فی تحری الصدق ونزاهتهم عن التغییر والتحریف وبراءة ساحتهم عن الحذف والاسقاط، من صار غریزته تعمد الکذب والتحریف والخیانة والمحو والاثبات.

قال المولف،

ثالثًا وردذلك فی کثیرة من تواریخ المسلمین خبر احراق مکاتب فارس وغیرها علی الاجمال وقد لخصها صاحب کشف الظنون، (الجزء الثالث صفحه ۴۵)

انظر الی هذا الکذب الفاحش والخدیعة الظاهرة فان صاحب الکشف ذکر ما ذکر من عند نفسه من غیر نقل روایة ولا استناد ولا استشهاد بکتاب ولا ذکر ناقل ومورخ وصاحبنا یقول انه ورد فی ماکن کثیرة من تواریخ المسلمین خبر احراق المکاتب وقد لخصها صاحب کشف الظنون فاین الاماکن الکثیرة واین التلخیص

اما قول صاحب کشف الظنون فقد ورد عرضا وتطفلا وکذلك قول ابن خلدون وامثال هذه المواقع لا تحتاج الی کبیر اعتناء وزیادة احتیاط ولذلك لما ذکر ابن خلدون فتح مصر واسکندریة وهو المظنة لذکر هذه الواقعة لم یتفوه بهذه الروایة اصلا ثم ان ابن خلدون وصاحب کشف الظنون من رجال القرن الثامن وبعده فما لم یذکرا انهم من این اخذا هذه الروایة لا یعبأ بها ولا یلتفت الیها،

قال المولف،

رابعًا ان احراق الکتب کان شایعًا فی تلك العصور کما فعل عبدالله بن طاهر بکتب فارسیة (الجزء الثالث صفحه ٣٥)

یا للعجب، عبدالله بن طاهر من قواد المامون ومن رجال الادب وهذا العصر یمتاز بکونه عصر العلم والمعارف وقد کانت للدولة ورجال حاشیتها وغیرهم عنایة کبری بکتب الاوائل وکانوا یجلبون الکتب من فارس وبلاد الروم وغیرها تجد تفاصیل ذلك فی فهرست ابن الندیم

وطبقات الاطباء واخبار الحكماء وغيرها فكيف يعوّل على هذه الرواية التي ما ذكرها احدٌ من ثقات المورخين وانما استند المولف ببراون المعلم الانكليزي وهو نقلها من تذكرة دولت شاه وهو كتابٌ جامعٌ لكل غثٍ وسمين، ولو صحّ نقلها لكانت على سبيل الندرة والشذوذ فهل يصح قول المولف ان احراق الكتب كان شايعًا في تلك العصور،

قال المولف، خامسا،

ان اصحاب الاديان في تلك العصور كانوا يعدّون هدم المعابد القديمة واحراق كتب اصحابها من قبيل السعي في تائيد الاديان الجديدة،

(ثم ذكر في تائيد ذلك عمل امپاطورة الروم واحراق كتب المعتزلة،

نعم، ولكن الراشدين لا يقاسون بغيرهم، ثم ان المسئلة ليست قياسية فما لم يثبت بالرواية لا ينفع مجرد القياس،

قال المولف، سادسا،

في تاريخ الاسلام جماعة من ائمة المسلمين احرقوا كتبهم من تلقاء انفسهم

(ثم ذكر بعض الحوادث في تائيد ذلك،)

عجبًا لمثل هذا الاستدلال، فان المرء يجوز له ان يفعل بملكه ما يشاء واىّ حجةٍ في ذلك لاحراق كتب اقوام اخر،

اِنَّ هذه القياسات الواهية لا تغني شيئًا ولكن لو اردنا ان نشفي

فی ذلك البحث بالقیاس والامارات فعلینا ان ننظر ما کان صنیع الخلفاء الراشدین بآثار اهل الذمة ومعابدهم وکنائسهم وامتعتهم وخزاینهم، ان الاصل فی ذلك عهد النبی صلی الله علیه وسلم الذی کتبه لاهل نجران وقد ذکره القاضی ابو یوسف فی کتاب الخراج بحروفه

ولنجران وحاشیتها جوار الله وذمة محمد النبی رسول الله علی اموالهم انفسهم وارضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشیرتهم وبیعهم وکل ما تحت ایدیهم من قلیل او کثیر (کتاب الخراج طبع مصر صفحة ۴۱)

فکان هذا العهد هو العمدة للصحابة عضوا علیه بالنواجذ وتجد فی کل عهود الخلفاء الراشدین کعهد نجران ومصر وشام والجزیرة ان هذا الاصل ای ذمة الله ورسوله علی ارضهم وکل ما تحت ایدیهم من قلیل او کثیر محفوظ باقٍ علی حیالها الاصلیة وعهد مصر هو هذا۔

"هذا ما اعطی عمرو بن العاص اهل مصر من الامان علی انفسهم ودمهم واموالهم وصاعهم ومدهم وعددهم"

وذکر فی معجم البلدان روایة بزیادة "ان لهم ارضهم واموالهم لا یتعرضون فی شیء منها" وانت تعلم ما لعمر الفاروق من العنایة والشدة فی وفاء العهد باهل الذمة وغیرهم ومع عهده بانهم لا یتعرضون فی شیء من اموالهم وکل ما تحت ایدیهم کیف کان یتعرض لخزائن کنائسهم التی هی من انفس ذخائرهم واغلاها

اعلم ان مسئلۃ احراق الخزانۃ الاسکندریۃ موضوعٌ مهم عند اهل اوربا وقد طال البحث فیه اثباتاً ونفیاً وممن الّف بهذا البحث اجمالاً وتفصیلاً المعلم وایت والمعلم ساسی الفرنساوی فی ترجمۃ کتاب الافادۃ والاعتبار وواشنگٹن اروِنگ ودریپر الامیرکانی صاحب کتاب الجدال بین العلم والدین وکرچٹن وسیدیو الفاضل الشهیر الفرنساوی فی تاریخ الاسلام والمعلم رینان الفیلسوف الفرنساوی فی خطبۃ الاسلام والعلم، وارتمر گلبین، وللمعلم کریل الالمانی رسالۃٌ مستقلۃٌ فی هذا البحث قدّمها الی المؤتمر الشرقی الذی انعقد سنۃ ۱۸۷۰ء اورد فیها کل ما کتب الباحثون فی هذا البحث نفیاً او اثباتاً وقد طالعت کل هذه المباحثات والمقالات وعملت رسالۃ فی لسان الاردو وترجمت الی الانکلیزیۃ ثم الی العربیۃ ترجمها احد من اهل الشام وطُبِعَ شطرٌ منها فی جریدۃ ثمرات الفنون، ومجلۃ المقتبس،

والحاصل ان محققی اهل اوربا قضوا بانّ الواقعۃ غیر ثابتۃ اصلاً منهم جیبن المورخ الشهیر الانکلیزی ودریپر الامیرکانی وسیدیو الفرنساوی وکریل الالمانی والمعلم رینان الفرنساوی عمدتهم فی انکار ذلک امران الاول انّ الواقعۃ لیس لها عینٌ ولا اثرٌ فی کتب التاریخ الموثوقۃ بها کالطبری وابن الاثیر والبلاذری وغیرها مما مرّ ذکرها واول من ذکرها عبد اللطیف والقفطی وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم یذکرا مصدراً للروایۃ

والاسناد - والثانی ان الخزانة کان ضاعت قبل الاسلام اثبتوا ذلک

بدلائل لا یمکن انکارها،

قال المؤلف،

"قلنا فیما تقدم ان الخلفاء الراشدین کانوا یخافون الحضارة علی العرب"

ولذلک منعوهم من تدوین الکتب" "وکان هذا الاعتقاد ناشئا فی

الصحابة والتابعین و تمسک به جماعة من کبارهم وکانوا اذا استأذنوا التدوین

علیهم ابوا واستنکفوا (الجزء الرابع صفحة ۵۰)

اطال المؤلف ونقل اقوالا عدیدة فی اثبات ان الخلفاء الراشدین و

الصحابة کانوا یمنعون الناس عن الکتابة والتالیف ونحن لا ننکر ان هذا کان

مذهبا لبعض الصحابة والتابعین ولکن الذین رخصوا فی ذلک وامروا بالکتابة

والتدوین اکثرهم عددا وارجحهم میزانا واوسعهم نفوذا وقد عقد المحدث المشهور

القاضی ابن عبد البر فی کتابه جامع بیان العلم (انظر صفحة ۷۲ طبع المصر)

بابا فی اثبات ذلک ونحن ننقل شطرا منها، قال "وعن انس بن مالک قال قال رسول الله

صلی الله علیه وسلم قیدوا العلم بالکتاب وعن عبد الملک بن سفیان عن عمه انه سمع

عمر بن الخطاب یقول قیدوا العلم بالکتاب وعن معن قال اخرج الی عبد الرحمن

ابن عبد الله بن مسعود کتابا وحلف لی انه خط ابیه بیده وعن ابی بکر قال سمعت

الضحاک یقول اذا سمعت شیئا فاکتبه ولو فی حائط وعن سعید بن جبیر انه کان

يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه فى واسطة الرحل فاذا نزل
نسخه وعن ابى قلابة قال الكتاب احب الينا من النسيان وعن ابى مليح قال
يعيبون علينا الكتاب وقد قال الله علمها عند ربى فى كتاب، وعن عطاء عن
عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله أأقيد العلم قال قيد العلم قال عطاء
قلت وما تقييد العلم قال الكتاب وعن عبد العزيز بن محمد الدراوردى
قال اول من دون العلم وكتبه ابن شهاب وعن عبد الرحمان بن ابى الزناد
عن ابيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كلما سمع فلما
احتيج اليه علمت انه اعلم الناس وعن سوادة بن حيان قال سمعت معاوية
بن قرة يقول من لم يكتب العلم فلا تعدوه عالما وعن محمد بن على قال
سمعت خالد بن خداش البغدادى، قال ودعت مالك بن انس فقلت
يا ابا عبد الله اوصنى قال عليك بتقوى الله فى السر والعلانية والنصح لكل
مسلم وكتابة العلم من عند اهله وعن الحسن انه كان لا يرى بكتاب العلم باسا
وقد كان املى التفسير فكتب وعن الاعمش قال قال الحسن ان لنا كتبا
نتعاهدها وقال الخليل بن احمد اجعل ما تكتب بيت مال وما فى صدرك
للنفقة وعن هشام بن عروة عن ابيه انه احترقت كتبه يوم الحرة
وكان يقول وددت لو ان عندى كتبى باهلى ومالى وعن سليمان
بن موسى قال يجلس الى العالم ثلاثة رجل ياخذ كل ما سمع فذلك

حاطب ليل ورجل لا يكتب ويستمع فذلك يقال له جليس العالم ورجل
ينتهي وهو خيرهم وهذا هو العالم وعن اسحق بن منصور قال قلت لاحمد
بن حنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قوم ورخص فيه اخرون قلت له
لو لم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم اي شئ كنا نحن قال اسحق و
سالت اسحق بن راهويه فقال كما قال احمد سواء وعن حاتم الفاحز و
كان ثقة قال سمعت سفيان الثوري يقول اني احب ان اكتب الحديث
على ثلاثة اوجه حديث اكتبه اريد ان اتخذ دينا وحديث رجل اكتبه
فاوقفه لا اطرحه ولا ادين به وحديث رجل ضعيف احب ان اعرفه
ولا اعبأ به وقال الاوزاعي تعلم ما لا يوخذ به كما تتعلم ما يوخذ به و
عن سعد بن ابراهيم قال امرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن
فكتبناها دفترا دفترا فبعث الى كل ارض له عليها سلطان دفترا وعن
ابي زرعة قال سمعت احمد بن حنبل ويحيى بن معين يقولان كل من
لا يكتب العلم لا يومن عليه الغلط وعن الزهري قال كنا نكره كتاب العلم
حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء فراينا ان لا نمنعه احدا من المسلمين وذكر
المبرد قال قال الخليل بن احمد ما سمعت شيئا الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته الا نفعني

الضغط على اهل الذمة | ادعى المولف ان عمر بن الخطاب كتب
عهدا لنصارى اهل الشام وذكر نصه منقولا عن سراج الملوك للطرطوشي

واعترف بان فيه ضغطا على النصارى ثم اعتذر لعمر بان نصارى الشام كانوا يميلون الى قيصر الروم وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج الى الشدة بهم والتضئيق عليهم،

كل من له ادنى مسكة فى التاريخ يعرف ان **الطرطوشى** ليس من رجال التاريخ وكتابه كتاب ادب وسياسة لا كتاب تاريخ وهو من رجال القرن السادس وانما المعول فى هذا البحث المصادر القديمة الموثوقة بها كتاريخ الطبرى والبلاذرى واليعقوبى وابن الاثير وغيرها وهذا ما كان يخفى على المولف ولكن لاجل هوى نفسه اعرض عن كل هذه وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة باسنادها ورجالها، قال القاضى ابو يوسف وهو مع كونه من رجال الفقه عارف بالمغازى والسير بعد ما نقل عهد نصارى الشام وليس فيها ادنى ضغط عليهم ولا شدة بهم،

"فلما راى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا اشداء على عدو المسلمين وعونا للمسلمين على اعدائهم فبعث اهل كل مدينة رسلهم ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا فاتى اهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعا ×× فكتب ابو عبيدة الى كل وال ممن خلفه فى المدن التى صالح اهلها يامرهم ان يردوا عليهم ما جبى منهم من الجزية

والخراج وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا انه جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك وقد رددنا عليكم ما اخذنا عنكم، فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الاموال التى جبوها منهم قالوا ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا علينا شيئا واخذوا كل شئ بقى لنا حتى لا يدعوا شيئا (كتاب الخراج طبع مصر صفحه ٨١)

فانظر الى هذا العدل الذى عجز البشر عن اتيان مثله واعتراف اهل الذمة بذلك والى قول المولف ان عمر ضغط عليهم وانما ضغط لانهم كانوا من جواسيس الروم،

تاريخ العلوم الاسلامية | اما تاريخ العلوم الاسلامية والتقريظ عليها فقد فقدنا اليوم فى ملتنا من يقوم بهذا العبأ فكيف برجل دخيل فينا مزجاة البضاعة قليل المعرفة لا يعرف من علومنا الا اسماء التلقاها من ظواهر الكتب وافواه العامة فاذا تكلم عن شئ منها خبط وخلط وهاك امثلة من ذلك قال "وكان المسلمون غير العرب هناك اكثرهم الفرس وهم اهل تمدن فى علم فعمدوا الى استخدام القياس العقلى فى استخراج احكام الفقه من القرآن والحديث فخالفوا بذلك اهل المدينة لانهم كانوا اشد يدى التمسك بالتقليد" (الجزء الثالث ص ١٧) ظن الرجل ان استخدام القياس والراى من مبتدعات الفرس مع ان اول من سمى بهذا الاسم هو **ربيعة الراى** صرح بذلك السمعانى فى الانساب وهو من اهل **المدينة** وممن اخذ عنه الامام مالك، وان المالك رض والشافعى رض وابا يوسف رض والامام محمد رض كلهم يستعملون القياس مع كونهم

من العرب ارومةً وموطناً واداةً وانّ الفارق بين اصحاب الرأى والحديث ليس استعمال القياس وفصل القضية فى ذلك تجده فى كتاب حجة الله البالغة لشاه ولى الله الدهلوى من متاخرى حكماء الاسلام۔ ثم قال المولف "فكان من جملة مساعى المنصور فى تصغير امر المدينة وفقهائها وخصوصا مالك بعد ان افتى بخلع بيعته انه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس وكان كبيرهم يومئذ ابا حنيفة النعمان فى الكوفة فاستقدمه المنصور الى بغداد واكرمه وعززمذهبه،،

ظلمات بعضها فوق بعض ، ما كان ابو حنيفة ارفع مكانة عند المنصور من مالك فان ابا حنيفة كان هواه مع ابراهيم الخارج على المنصور وكان افتى بنصرة ابراهيم ولذلك اراد المنصور المكيدة به فاستدعاه وعرض عليه القضاء ولما لم يرض به سجنه وامر بضربه حتى مات فى السجن ، اما ما قال عن تصغير امر الامام مالك فيخالف الروايات الصحيحة الثابتة قال القاضى بن عبد البرّ فى كتاب جامع العلم (صفحة ۲۰) عن محمد بن عمر قال سمعت مالك بن انس يقول لما حج ابو جعفر المنصور دعانى فدخلت عليه فحدثته وسالنى فاجبته فقال انى عزمت ان امر بكتبك هذه التى وضعتها يعنى الموطاء فينسخ نسخا ثم ابعث الى كل مصر من امصار المسلمين منها نسخة و امرهم ان يعملوا بما فيها لا يتعدوها الى غيرها ويدعوا ما سوى ذلك من هذا العلم المحدث فانى رايت اصل هذا العلم رواية اهل المدينة وعلمهم الخ۔

قال "وكان ابو حنيفة لا يحب العرب ولا العربية حتى انه لم يكن يحسن الاعراب ولا يبالى به

(الجزء الثالث صفحة ۱، مستندا بابن خلكان) نعوذ بالله من هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش، استشهد المؤلف فی هذه الواقعة بابن خلكان والحال ان ابن خلكان ذكر فی تاريخه فی ترجمة ابی حنيفة بعد ذكر محاسنه ان الخطيب البغدادی اطال فی مثالب ابی حنيفة ثم انكر عليه ذلك وقال ما كان يعاب ابو حنيفة الا بقلة العربية فانه قال ولو رماه بابا قبيس ثم اعتذر له بنوع من العذر وليس فيه اقل شئ يومی الی ان ابا حنيفة كان لا يحب العرب والعربية، ثم ان ابا حنيفة كان ناقما علی العباسية المحامين للفرس وكان من شيعة زيد الامام ابن الامام زين العابدين وكان تلميذ الحماد وهو تلميذ الابراهيم النخعی وكلهم عرب - ثم اصحابه الملازمون له الناشرون لفقهه والقائمون بدعوته ای ابا يوسف ومحمدا وزفر وكلهم عرب، اما لحن ابی حنيفة فمعلوم انه عجمی وكم من الاعجام الذين هم رؤس الادب وجوه العربية كحماد الراوية وغيره كانوا يلحنون وكان هذا طبيعتهم وغريزتهم،

فمن كان هذا مبلغه من العلم ومحله من النظر هل يصلح لسلوك هذا الطريق الوعر والخوض فی غمار هذا البحث الدقيق الذی يحتاج الی التضلع فی العلوم الاسلامية والتوسع فيها مع سعة النظر ووفرة المواد واصابة الرای وشدة الفحص وافراغ الجهد وتكميل الادوات ثم ان الرجل ههنا هو الرجل الذی عرفناه قبل ذلك فی سوء طويته وكامن حقده وتحامله علی العرب واعتياده بالتحريف وتمرنه بسوء التاول وتلبيس الكلام وهاك امثلة من هذه،

قال (تحت عنوان الفقه) فلما افضی الامر الی بنی العباس و اراد المنصور تصغیر العرب واعظام امر الفرس لانهم انصارهم واهل دولتهم کان من جملة مساعیه فی ذلک تحویل انظار المسلمین عن الحرمین فبنی بناءً سماه القبة الخضراء حجاً للناس وقطع المیرة عن الحرمین وفقیہ المدینة یومئذٍ الامام مالک الشہیر فاستفتاہ اهلها فی امر المنصور فافتی لهم بخلع بیعته (الجزء الثالث صفحة ۷۱)

وهذا کله کذبٌ واختلاقٌ والمنصور ابعد محلاً وابرءُ ساحة من ان یبنی بناءً ارغاماً للکعبة وقد سبق لنا الکلام فیه فاما قطع المیرة عن المدینة فلم یکن الا اجبارا علی محمد وتضییقاً علیه لما قام بالخلافة وقد صرّح بذلک المقریزی (الجزء الثانی صفحة ۱۴۳) فقال "وذکر البلاذری ان ابا جعفر المنصور لما ورد علیه قیام محمد بن عبد الله قال تکتب الساعة الی مصر ان تقطع المیرة عن اهل الحرمین والامام مالک کان هواه مع محمد یحرض الناس علی موازرته وافتی بخلع بیعة المنصور" فانظر کیف قلب المولف الحکایة وصرفها عن وجهها فخروج محمد وافتاء الامام مالک متقدمان علی قطع المیرة عن المدینة وخروج محمد هو السبب فی قطع المیرة والمولف یقول ان قطع المیرة انما کان ارغاماً للحرمین وان الامام مالک افتی لذلک بخلع بیعته۔

قال المولف بعد ما ذکر رغبة بنی امیة فی الشعر وتنشیطهم للناس (تحت عنوان الشعر وبنو امیة) وقد یتبادر الی الاذهان انهم کانوا یفعلون ذلک رغبة فی الادب وتنشیطاً لاهله لان الشعر سجیةٌ فی العرب ودولة الامویین عربیة

بحتة ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه للاستعانة بالسنة الشعراء على مقاومة اهل البيت الخ
(الجزء الثالث صفحه ١٠٢) فانظر الى هذا التحامل المفرط والحيف الشديد فانه
لما لم يجد سبيلا الى انكار ما لبنى امية من الايادى فى ترويج سوق الادب فى رفع منار
الشعر والاخذ بناصر علماء العربية واعطاء الصلات المتكاثرة للشعراء احتال لدافعه
بابداء احتمال انهم كانوا مدفوعين الى ذلك سياسة،

قال وقد تقدم فى كلامنا عن الفقهاء ان المنصور اخذ بناصر اصحاب
الراى والقياس واستقدم ابا حنيفة الى بغداد ونشطه لهذه الغاية وظل
الميل الى القياس متواصلا فى بنى العباس **والاعتزال** قريب لمذاهب اصحاب
الراى الخ (الجزء الثالث صفحة ١٤٠) انظر الى ما بلغ به حال المؤلف فى جهله بالمعارف
الاسلامية حتى انه يقرن بين **الاعتزال والراى** ويعدهما من جنس واحد
ولم يدر المسكين ان لا رابط بينهما فان الاعتزال احد المذاهب الكلامية والراى
والقياس من احد اصول الفقه ومعظم اصحاب الراى والقياس بل كلهم
الا الشاذ النادر منهم كابى حنيفة ومحمد وابى يوسف وزفر وابى لولو والطحاوى
والخصاف وابى بكر الرازى والدبوسى وغيرهم كانوا ناقمين على **الاعتزال** كانوا
يعدون المعتزلة من اهل الاهواء والضلالة،

قال فلما افضت الخلافة الى المامون فاخذ بناصر اشياعه وصرح باقوال
لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفى جملتها القول

بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ۱۴۱)،

وهل یکون کذب اعظم من هذا فان خلق القرآن اوقدمه لامساس له بالتنزیل اوعدمه فان الاختلاف فی ان هل الکلام صفة حادثه تقوم بالله تعالیٰ وهو صفة قدیمة فالمعتزلة قالوا بحدوثه حذرا من تعدد القدماء واهل السنة وغیرهم قالوا بقدمه لان الحادث لایقوم بقدیم فاما ان القرآن کلام الله تعالیٰ منزل الی الرسول فهذا لایختلف فیه اثنان۔

قال واما الفلسفة بحذ افیرها فقد کان اصحابها متهمین بالکفر وکان الانتساب الیها مرادفا للانتساب الی التعطیل وقد شاع ذلک فی **بغداد** بین العامة حتی فی ایام المامون ولذلک سماه بعضهم امیر الکافرین (الجزء الثالث صفحة ۱۷۷) استشهد المولف فی هذا القول بالیعقوبی ونحن ننقل عبارته حتی تعرف مقدار خدیعة المولف، قال الیعقوبی "وشخص هرثمة من العراق الی مرو سنة ۲۰۱ وقیل انه انصرف بغیر اذن من المامون فلما دخل علی المامون ××× قال من نقرس ولایمکننی المشی فی محفة ××× وکلم المامون بکلام علیه ودخل معه یحیی بن عامر ابن اسمعیل الحارثی فقال السلام علیک یا امیر الکافرین فاخذته السیوف فی مجلس المامون حتی قتل فقال هرثمة قدمت هذه المجوس علی اولیاءک وانصارک واتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن انصار دولتکم وقد خشینا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فیها من تدبیر المجوس"، (الیعقوبی صفحة ۵۴۶ و ۵۴۷)

ان المامون استوزر حسن بن سهل وكان مجوسيا اسلم فنقم العرب على المامون و

قالوا انك قدمت المجوس و قال له يحيى السلام عليك يا امير الكافرين فهذا كلمة

السياسة لا مساس بها بالفلسفة والاعتزال وابن هرثمة و يحيى بن عامر الحارثي من

اهل الجند ما عرفا الفلسفة ولا سمعا بها،

قال المؤلف "ولكن الاسلام كان اقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول

وخصوصا في اوائله فلم يكن احدهم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا

لراي الخليفة و لذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذ وتعددت مذاهب اصحابها

في القراءة والتفسير والفقه وفي كل شئ حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف

ليست من القرآن لانها قصة من القصص القائلون بذلك العجاردة (الجزء

الثالث صفحة ٦١) انظر الى هذه الخديعة يمدح الاسلام بكونه اقرب الى حرية

الفكر ويدس فيه ان بعض الطوائف الاسلامية كانت تنكر ان سورة يوسف

من القرآن وهم العجاردة يوهم بذلك ان العجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور

القرآن كان مذهبا من مذاهب الاسلام مع ان العجاردة وهم حماد عجرد

واثنان آخران معروفين بالالحاد والزندقة والمروق عن الاسلام ذكرهم

ابن خلكان والشهرستاني وغيرهما،